باندورا الحلوة

من أكل كوهاكو؟

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج - الجزائر-
0774465958
035865297
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :5-132-23-9931-978
الإيداع القانوني : سبتمبر 2025.

روعة براهمية

باندورا الحلوة

من أكل كوهاكو؟

اسمي "روعة."

قد يكون اسمي أغرب من سلوكي...

أهديك هذا الكتاب، رغم أنك لا تعرفني،

أو ربما تظن أنك تعرف القليل عني...

فهل تجرؤ على فتح فندق "ساغارا"؟

افتح الصفحات كما تفتح جرحًا نسيته،

تقدَّم، لكن لا تعد نفسك بالعودة سليمًا.

سوف تغرق في دهاليز عقلي المعتم،

وتنصت لما يهمس به رأسي كل ليلة...

"قالوا إنني مجنونة... ربما كانوا على حق، لكنهم الآن في القبو، ولا أحد يسمعهم."

-1-

جحيم العزلة

لم يدرك تاكومي ساتو متى بدأ يتعفَّن من الداخل. "ما هدفك في الحياة؟"

قد يبدو سؤالًا بسيطًا... لكنه ظل عالقًا في حلقه لسنوات بلا إجابة. كان يبتسم أحيانًا لا عن سرور، بل ليختبر كم يمكن للوجه أن يكذب.

كان ينهض كل صباح بدافع التآكل البطيء. كل شيء فيه كان يذبل ببطء: شهيته، أحلامه، وحتى رغبته في النجاة. كل ما فيه كان يتحوَّل إلى رماد بإرادته.

في حياته المليئة بالعزلة لم يكن المطر يهطل في الخارج بل يهطل في داخله. ولم يرمش منذ ثلاث دقائق، حدَّق تاكومي بثبات في البقعة السوداء على طرف الطاولة. كانت تنبض وتكبر، كأن شيئًا ما تركه هناك كوهاكو قبل أن يختفي... شيئًا لم يكن مرئيًا، لكنه يبتلع كل ما تبقى من تاكومي.

أعلن صوت المطر المتساقط عن نهاية المحاضرة، وبدأ الطلاب في مغادرة القاعة. ظل تاكومي ينظر بشرود إلى النافذة، بينما كانت أصوات همسات الطلاب المتحدثين تتسلل إلى سمعه من الخلف:

. أليس هذا غريبًا؟ يتصرف تاكومي ساتو كشخص عادي، رغم ما حصل لشريكه في السكن؟

. لو كنت مكانه لفعلت شيئًا حيال ما حدث...

استمر تاكومي في النظر إلى النافذة، إلى تلك الغيوم الرمادية بعيونه الفارغة... التقط هاتفه أخيرًا وتفقَّد الرسائل. كانت هناك رسالتان فقط: واحدة من والدة رفيقه في السكن وأخرى من شقيقته، كوهاكو نيشيدا. ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه لم تصل إلى عينيه. مسح الرسالتين دون أن يفتحهما، وتمتم لنفسه: ما جدوى العتاب أو الشتم... طالما أنني ميت في النهاية؟

تجلس بجانبه فتاة من السنة الثالثة تدعى ريكا ساغارا، تكسر ذلك السكون بصوتها وتقول من دون أن تنظر إليه: هذا مكاني، يجب أن تغادر إذا لم تجد ما تفعله...

أعاد تاكومي الهاتف إلى جيب معطفه ببطء. عندما وقف، انزلق شيء من جيبه. سقط بخاخ الربو على الأرض وارتطم بلطخة غبار، ثم تدحرج تحت الطاولة كأنه يهرب واستقر قرب قدم ريكا، لكنها لم تتحرك. جلس تاكومي على الأرض، ومدَّ يده نحو البخاخ.

عندما كاد أن يلتقطه، شعر بيد دافئة على رأسه. تجمَّد مكانه...

لم تقل شيئًا في البداية، فقط تركت يدها هناك بحركة غريبة، غير متوقعة، تفقدت شعره الأسود الكثيف. ثم قالت بصوت خافت:

-لماذا شعرك ناعم بهذا الشكل؟

نظر إلى عينيها الدموية لمدة جزء من الثانية، فأسرعت بالابتعاد. وقف من مكانه وغادر دون أن ينظر إليها، لكن استطاع سماع ضحكاتها.

وصل تاكومي إلى الشقة دون أن يرف له جفن، وفوقه مصباح الممر الذي كان ينطفئ تارة ويشتغل تارة أخرى. وضع المفتاح على الباب لكن رن هاتفه مما جعل وجهه يشحب بسرعة خوفًا من المجهول... من المتصل الآن؟

بعد لحظات من التنفس الصعب رد على الهاتف. كان المحقق المسؤول عن قضية اختفاء كوهاكو، سأل تاكومي إن كان متفرغًا ليلتقي به. فغادر تاكومي من دون أن يفتح باب الشقة، ليجد أن المحقق هيروتو ينتظره أمام المبنى مباشرة، فقال له: كنت في الجوار، لهذا أتيت...

كان الجو باردًا والسحب تحجب نور الشمس. كان المحقق ذا ملامح حادة ووجه شاحب، سأل عن أحوال تاكومي، وعن أي جديد قد يساعد في تقدم عملية البحث... شرد ذهن تاكومي وهو يتذكر آخر مرة شاهد كوهاكو فيها... التجاعيد التي بدأت تعلو جبهته القصيرة، مع أصواتٍ ثقيلةٍ تخرج من بين شفتيه. بعد أن تحدث له عن تلك الشائعات التي سمعها عن ريكا:

"ريكا، عرفتها منذ المدرسة الإعدادية. يقولون إن كل من يقع في حبها إما أن يتعرض لحادثٍ مروعٍ ويموت، أو يختفي من هذا العالم"...

شعر تاكومي بشيءٍ من التوتر وهو يتابع رد فعل كوهاكو... كان محمرًا وجهه بغضب، يصرخ بانفعال: أنت دائمًا كنت وحيدًا وغير محبوب. لطالما كنت تنظر إلي بعيون الغيرة والحقد...

تجمَّد تاكومي في مكانه، هل كان هذا بفعل الطقس البارد أم بسبب الكلمات التي اجتاحت جسده فجأة؟ وضع هيروتو يده على كتف تاكومي كأنما يسحبه من أعماق أفكاره، وربت عليه وطلب

أن يحفظ رقم هاتفه، وإذا تذكَّر شيئًا أو حصل أي شيء يتصل به مباشرة. فتح تاكومي فمه مترددًا في الحديث وقال: ريكا ساغ...

قاطعه هيروتو قائلًا: هي من أبلغت عن اختفائه. قالت إنه لم يرد على رسائلها أو اتصالاتها منذ يومين.

ثم انصرف هيروتو، ليدخل تاكومي إلى غرفته الحالكة والقذرة كبؤرة للنفايات، ويلج إلى دوامة أخرى من الأسئلة. كان تاكومي قد اعتاد هذا النمط من الفوضى، متكِلًا على أن كوهاكو سيتولى أمر التنظيف من بعده.

تمدد على فراشه وسط العتمة الدامسة، وتفحص هاتفه بملل، فلم يجد جديدًا. لم يشغل باله بأي فكرة محددة، فقط بقي يحدق في السواد، يحاول إيهام نفسه بأنه أغلق عينيه وغرق في النوم. بعد ساعتين، استقبل تاكومي زائرًا مألوفًا... الكابوس الذي يطل عليه كل ليلة:

"ضحكات والديه اللذين جلسا في مقدمة السيارة، وابتسامته وهو في سن الحادية عشرة، والظلام الذي يبتلع السيارة بالتدريج من مقدمتها، حتى اختفى والداه من أمامه."

يستيقظ تاكومي من الكابوس مفزوعًا على رنّة هاتفه. تفقده فوجدها رسالة من والدة كوهاكو تقول فيها إنه السبب في اختفاء ابنها، ويجب أن يعوِّضها على هذا. زمجر وجهه كوحش جريح وضرب الهاتف على الأرض ثم رمى نفسه على السرير. بعد دقائق

بدأت أشعة الشمس تتسلل من النافذة وتنير وجهه، كانت الهالات السوداء حول عينيه مختبئة تحت شعره.

دون أن يفكر في الأمر مرتين، نهض من على السرير، وجذب كيسًا بلاستيكيًا جمع فيه النفايات المبعثرة على الأرض. وقف أمام الخزانة التي كانت تحمل صفحة من صحيفة قديمة تتحدث عن "فندق ساغارا". ثم سقطت عيناه على الصورة المعلَّقة بجانب المقال؛ صورة لفتاة ذات شعر أسود طويل، لم تُظهر ملامح وجهها بوضوح. ثم بلا تردد مزق الصورة، وأخرج بخاخ الربو من جيبه، وألقى به في الكيس كما لو كان يستعد للفناء. ثم جلس على سريره متأملًا للحظة، وأخذ علبة الشاي الأسود المفتوحة أمامه وشربها. بعد أن انتهى، بدأ بترتيب أغراضه. حمل حقيبته الثقيلة على كتفه، وألقى آخر نظرة على المكان، ثم فتح الباب.

جلس تاكومي على كرسي في مكتبة عامة، تميزت المكتبة بالهدوء التام، وجميع الزوار كلٌّ منهم مندمج مع كتابه. استعار تاكومي كتابًا وبدأ يقرأ؛ كانت رواية "لوحة بدمائي". متسائلًا في باله:

هل ستكون هناك نهاية سعيدة؟

لكن ساءت صحته فجأة وأخذ يسعل بشدة وبصورة متكررة، مما جعل الأنظار تتوجه إليه. تقف ريكا خلفه تمامًا وتقول بصوت

هادئ وتبتسم: إدوارد يموت، يمكنك أن تغادر الآن. أنت تزعج من حولك...

يضرب تاكومي على صدره ويتوقف عن السعال، فتجلس ريكا مقابلة له. فينظر تاكومي في عينيها، ثم يتحدث بصوت منخفض: بدت لي في البداية أن هذه الرواية من المستحيل أن تحتوي على نهاية حزينة.

بعد أن اختفت ابتسامتها التي لا تعبِّر عن السعادة أو اللطف . كانت ابتسامة غريبة فحسب . قالت: إدوارد محظوظ، رغم أنه قتل والدته إلا أن جانيت تقبَّلته كما هو...

سألته بنبرة ناعمة، بعينين تتهربان من الإجابة: هل تستطيع أن تحبني بعد أن تكتشف أنني قاتلة؟

فتح تاكومي فمه مترددًا ليرد على سؤالها الذي بدا له كأنه مزحة أو مجرد سؤال عشوائي. أسندت رأسها على ظهر الكرسي، وقالت بصوتٍ متعب كأنها تعترف بشيء دفين:

-كلنا نحمل ذئبًا في أعماقنا... يقولون إنه لا يخرج إلا تحت ضوء القمر المكتمل، لكن الحقيقة: القمر مجرد عذر.

عم صمت لبضع دقائق مريبة، فسأل بنبرة مترددة عن فندق رخيص قرب محطة القطار. أجابته بهدوء وطلبت منه أن ينتظرها حتى تنهي دوامها في العمل بالمكتبة.

وقفت ريكا أمام مكتب الاستقبال، وظل تاكومي يحدّق بها بصمت، يترقّب أي حركة مريبة قد تكشف عمّا يدور خلف تلك الابتسامة... وعند حلول الساعة الثامنة انتهت ريكا من عملها وغادرا المكتبة معًا. وقفت ريكا على طرف الرصيف تلوح يدها لتوقف سيارة أجرة، فأمسك تاكومي يدها وأنزلها: أفضل الركوب في القطار.

مشيا معًا باتجاه محطة القطار وسط ضوء مصابيح الشارع الخافتة. كان الجو باردًا بما يكفي لجعل أنفاسهما تتكاثف كأرواح هاربة. كانت ريكا تسير بخطى هادئة، وصوت كعبها يرنّ على الأرض، بقميص أبيض ناصع تُطرّزه خيوط دانتيل. انسكبت التنورة السوداء الطويلة حولها بنعومة، فيما التفّ حول كتفيها معطف شتوي أحمر.

أما تاكومي فتوقّف فجأة أمام آلة بيع العصائر فوقف قبالتها بصمتٍ يشبه الرماد، مرتديًا سترة رمادية داكنة تقارب السواد. أدخل قطعة نقدية واشترى عبوة شاي أسود. شربه بهدوء، ثم رمى العلبة الفارغة في سلة المهملات القريبة تراقبه عيون ريكا، ثم تابعا السير بصمت.

في هذا الليل البارد كانت ريكا تسير نصف خطوة أمامه، تسبق خطواته بتلك الخفة، بشعرها الأسود الطويل. ثم دون سابق إنذار زمجر محرك شاحنة اندفعت من بعيد بشراسة مفرطة نحو

بركة ماء ساكنة تشق طريقها. لم يكن في الوقت متسع للتفكير. في لحظة واحدة أمسكت يده بذراعه فجأة وبقوة غير متوقعة، وشدّته نحوها لتختبئ خلف جسده.

صفعة الماء الوسخ ارتطمت بتاكومي بعنف. لم يتراجع، فقط أغمض عينيه، بينما البلل تسلَّل تحت ياقة قميصه، غمر ظهره وصدره وبقي واقفًا بلا حراك كتمثال من البلل. وراءه ريكا جافة تمامًا.

مرت لحظة ثقيلة كثقل عطرها. خرجت من خلفه ببطء ورفعت يدها لتعدّل خصلة من غرة شعرها بلطف متعمَّد، ثم استدارت نحوه وضحكت. ضحكتها لم تكن ضحكة فتاة خجولة.

-يا إلهي، انظر لنفسك!

قالتها وهي تكتم ضحكتها خلف يدها الصغيرة. ثم مشت بنفس الخطى الخفيفة وكأن شيئًا لم يحدث... كان بإمكانه أن يصرخ. أن يواجه. أن يقول شيئًا بسيطًا كـ"لماذا؟" لكنه لم يفعل لأن شيئًا داخله كان يستفيق... مزيج من الانجذاب والخوف.

- هي تستغلني... أليس كذلك؟

سأل نفسه. ثم ابتسم ابتسامة ضيقة. تابع السير خلفها حتى وصلا إلى عربة القطار. ركبا معًا وجلسا جنبًا إلى جنب. وبينما يهتز القطار ببطء فوق القضبان، التفتت ريكا نحوه وسألته:

- هل التقيت بالمحقق اليوم؟

نزلت قطرة عرق باردة على وجهه وهو يسأل بصوت خافت يختبئ خلفه القلق: وكيف عرفتِ؟

- هل تقدَّمت قضية كوهاكو؟

هزّ رأسه نافيًا، شفتاه ترددان بالكاد: لا جديد.

- كوهاكو الغبي...

بعد لحظات صمت، ضحكت ريكا ضحكة خفيفة لا تخلو من السخرية، ثم سألته: ولماذا إدارة الأعمال؟ أليس تخصصًا جافًا لمن يحمل هذا القدر من الكآبة؟

أدار وجهه نحو النافذة للحظة، ثم ردّ بهدوء: كنت أظن أنني سأدير شركة والدي بعد التخرّج... لكن يبدو أن الأمور تغيّرت.

أومأت ريكا ببطء وقالت: قرر جدي بأنني سأدير الفندق.

وصلا أخيرًا أمام فندق كتب على لافتة بحروف إنجليزية "فندق ساغارا". تميَّز الفندق بلون داكن مناسب للمباني التي تبدو مهجورة بالقرب منه. فنظر تاكومي من حوله وتذكّر وقوفه قرب الفندق قبل أسبوعين حين تحدّث مع عجوز شاحبة الوجه حفرت التجاعيد العميقة ملامحها. كان شعرها أبيض كالثلج وفمها يكشف عن أسنان صفراء. أخبرته بثقة أن الفتى الذي في الصورة "كوهاكو" قد دخل الفندق ليلة أمس.

أصرّ تاكومي عليها أن تتحدث مع الشرطة، وبالفعل فعلت. ودخلت الشرطة لتفتيش الفندق... لكنهم لم يعثروا على أي شيء غريب. تقاطع ريكا تسلسل أفكار تاكومي بتساؤل غريب: أتذكر ذلك اليوم قبل أن تداهم الشرطة الفندق للتفتيش؟ رأيتك واقفًا هنا... وكيف أنسى هذا... وأنت كنت تتحدث مع تلك العجوز التي أصابها الخرف!

. أنا لا أتذكر... ربما مررت بالصدفة لا أكثر.

بعد لحظة صمت مريب، يدخل تاكومي وريكا الفندق، فبدا لتاكومي أنه متصدع من الداخل والخارج حيث تميز بجو ساكن تمامًا والطلاء المتقشر والزوايا المعتمة والرائحة الخانقة. احتوى الفندق على خمس طوابق وأكثر من عشرين غرفة، وفي كل طابق حمام خاص. اتجهت ريكا إلى غرفة الاستقبال التي كانت في الطابق الأرضي ويدخلان. كانت غرفة استقبال بمكتب كبير مع أرقام غرف على الحائط والكثير من المفاتيح.

عبّرت ريكا عن انزعاجها بضرب المكتب الخشبي بقوة حتى قفزت الأغراض الموضوعة فوقه ونادت بصوت عالٍ: إينوي. تعال إلى هنا بسرعة...

دخل إينوي، الذي تميز بقصر قامته وبروز عينيه، ليقف في المدخل بنظرة هادئة لا مبالية. حدق في ريكا وتاكومي للحظة ثم قال بصوت منخفض وحاد: والآن جئتِ بزوجك الجديد؟

نظرت ريكا إليه بعينين مليئتين بالاحتقار، وجمعت شفتيها لترد ببرود: وماذا عنك؟ لقد تعدَّيت الثلاثين ولم تواعد أحدًا... يا مهووس القذارة.

ابتسم إينوي ابتسامة باردة وهو يتجاهل كلامها، ثم قال بصوت هادئ تمامًا: إذن هو زوجك؟ ولماذا هو مبلل هكذا؟

اقتربت ريكا منه خطوةً، وسرعان ما وجهت إصبعها إلى جبهته: عمي، هل تعلم لماذا أنت فاشل؟ لأنك ببساطة... أحمق!

حرك إينوي رأسه قليلًا بعيدًا عن إصبعها، ثم دفع يدها عنه بحركة سريعة، وعيناه ذات اللون البني تومضان بالغضب: توقفي! التزمي حدودك. أنتِ فقط المفضلة عند أبي، ولم تفعلي شيئًا مميزًا.

ردَّت ريكا بصوت خافت: قم بعملك فحسب...

ثم غادرت غرفة الاستقبال كأنها عاصفة اجتاحت المكان. اتجه إينوي نحو المكتب ثم تنهّد، وتمتم بكلام مسموع يحدث نفسه: لا أفهم... لماذا... حقًا؟

ثم أدار نظره نحو تاكومي وتساءل بنبرة مشككة: لماذا؟

ارتبك تاكومي وأخذ يحدّق حوله متجنّبًا عينيه، ثم قال: نحن لسنا...

قاطعه إينوي ببرود: نعم، لستما كذلك.

بدأ إينوي إجراءات تسجيل تاكومي ساتو في الفندق، ثم أعطاه مفتاح الغرفة رقم 25 في الطابق الأخير. استلم تاكومي ساتو المفتاح واتجه نحو الدرج الخشبي العتيق. كان صوته يصدر صريرًا مزعجًا، خاصة في الطابق الأول حيث بدا وكأنه يخرج من أعماق المكان. كانت الأضواء في الدرج خافتة، تكاد لا تضيء الطريق أمامه.

وجد فتاة صغيرة تجلس على الدرج ممسكةً بدميتها. نظرت إليه، تلك النظرات الخاوية التي تشبه نظرات الموتى. ابتسم تاكومي ابتسامة متصنعة: مرحبًا، هل يمكننا أن نصبح أصدقاء؟

وقفت الفتاة فجأة من مكانها، وجهها خالٍ من أي تعبيرات، ثم قالت:

- غادر هذا المكان إن كنت تهتم بحياتك...

ذهبت الفتاة الصغيرة تاركةً تاكومي مستغربًا. استمر في صعود الدرج بحذر، ومع كل خطوة كان يشعر بثقل المكان حوله. وصل أخيرًا إلى الطابق الأخير، حيث كان الممر طويلًا ومظلمًا بشكل غير طبيعي.

مشى بصمت عبره حتى توقف أمام الغرفة 25، ثم أدخل المفتاح في القفل بحركة بطيئة، وفتح الباب بصوتٍ خافت. كانت الغرفة تعكس إهمالًا واضحًا، أقل ما يمكن وصفها به أنها

مظلمة، يكسوها ورق جدران باهت ومتصدع. ألقى تاكومي حقيبته على الأرض وأغلق الباب خلفه.

على الرغم من بساطة الغرفة لكنها احتوت على الأساسيات: سرير مرتب بعناية مريبة، مكتب صغير تغطيه طبقة رفيعة من الغبار، وخزانة ذات مرآة. اقترب تاكومي من النافذة وأزاح الستائر الثقيلة. الشارع في الأسفل بدا ميتًا: لا صوت، لا حركة، فقط أضواء خافتة، ومن شقوق الجدران تسلّل برد قارس.

جلس على حافة السرير وأطلق تنهيدة عميقة. لكن صمته لم يكن مطمئنًا... وفي رأسه، تردّد سؤال واحد: لماذا أنا هنا؟

لم يملك في داخله دافعًا مقنعًا لوجوده هناك... هل كان من أجل كوهاكو فعلًا؟ أم أنه شعر بالخطر بسبب تلك الشائعات وامتلك في داخله غريزة موت قوية، التي تدفعه للتآكل والاضمحلال؟ أم انجذاب غريب نحو ريكا؟ هل هي ساحرة تجذب ضحاياها للفندق؟

بعد لحظات فارغة وقف وببطء شديد، تحسَّس تاكومي الجدران المتجمِّدة بأطراف أصابعه. توقف عند بقعة بارزة بشكل خاص بجوار الخزانة حيث شعر بشيء غريب. كان ورق الجدار منتفخًا قليلًا، جذبه بهدوء وكأنما يسحب ضمادة عن جرح قديم. فجأة سقطت ورقة مطوية من تحته.

قبل أن يتمكن من فردها، اخترق صمت الغرفة طرقات خافتة على الباب. سأل تاكومي بصوت أجش بالكاد مسموع: من... هناك؟

جاء الرد من خلف الباب: أتيت لأخبرك أن طعام العشاء جاهز... يمكنك أن تنزل.

ارتجف صوت تاكومي قائلًا: لا... لا أريد أن آكل شيئًا اليوم.

ثم سمع صوت ضحكة نسائية خافتة تبعتها كلمات متوددة: الطعام مجاني في هذا الفندق... لا تُضِع فرصتك.

2

- فندق عائلة ساغارا -

ترك تاكومي ساتو أطراف المدينة خلفه واستقر في قلبها، محاولًا النسيان والابتعاد عن منزل عائلته الفارغ والمؤلم... استأجر شقة فور تخرجه من الثانوية وجلس وحيدًا، لكن وحدته لم تكن يومًا صامتة؛ كان صوت سعاله العميق وأنين أنفاسه هما الرفيقين الدائمين.

لكن بعد لقاء عابر قاده إلى صداقة جديدة، قرر صديقه الجديد كوهاكو أن يشاركه في مسكنه. كان تاكومي ينسى بعضًا من وحدته حينما يستمع إلى حكايات كوهاكو الشيّقة عن مغامراته في تسلق الجبال مع رفاقه.

ذات مرة، سمع تاكومي أن كوهاكو مرتبط عاطفيًا بفتاة تدعى ريكا، وبالصدفة بدأت همسات غريبة تلفظ اسم ريكا ساغارا. أثارت فضوله، تعمّق في الأمر، وما كشفه كان أشد غرابة من أي إشاعة.

كانت تحتضن القطط وتقبّلها بشغف مفرط، وتتردد بانتظام على قبر منعزل تحت شجرة في الحديقة، حيث تجلس وتبكي بصمت. والأكثر إثارة للدهشة، رغم أنها تكبر كوهاكو بسنة واحدة إلا أن علاقتهما العاطفية استمرت.

أما منزلها، فندق قديم، كانت قذارته الظاهرة أول ما يلفت الانتباه. هذا بالإضافة إلى الشائعات التي سمعها عنها كل مرة يسأل فيها أحدًا عن فندق ساغارا:

"سمعت أن فندق ساغارا مصاب بلعنة؛ كان الفندق يشهد في فصل الصيف ازدحامًا غريبًا بالسياح. طبيعة البشر الفضولية تدفعهم إلى التوافد عليه. تراهم يتجولون بكاميراتهم في الليالي الحالكة، يسجلون مقاطع فيديو جريئة وهم يستكشفون زواياه المظلمة بحثًا عن تلك الأسطورة. ومع قدوم الشتاء وبرودته القاسية يتحول الفندق إلى مكان مهجور تمامًا. لا يجرؤ أحد مهما بلغت درجة تهوره، على قضاء ليلة واحدة بين جدرانه".

مرت الأيام وتاكومي كان يراقب صديقه، الذي بدأ يغرق أكثر فأكثر في حب تلك الفتاة. وفي أحد الأيام قرر تتبع خطواتها وهو يحمل الكاميرا بين يديه، عازمًا على التقاط دليل يثبت الإشاعات التي تُحاك حولها.

وقف في الزاوية يراقب عن كثب حيث جلست ريكا على الكرسي الخشبي في قلب الحديقة الهادئة، وفجأة، تردد سؤال مفاجئ في ذهنه: "لماذا أفعل هذا؟"

هل كان ذلك بدافع الفضول فقط؟ أم أنه كان يفعل ذلك من أجل صديقه كوهاكو؟ ثم هز رأسه وهو يحاول دفع تلك الأفكار بعيدًا...

كانت عيناه، بلونهما الغريب، مثبتتين عليها بتركيز تام. كانت أشعة الشمس الدافئة تتخلل أوراق الأشجار المتشابكة. في تلك اللحظة، حطّت فراشة صفراء على ظهر يد ريكا الممدودة.

ظلت ريكا تحدق بالفراشة وهي شاردة الذهن. لكن فجأة استدارت بسرعة ونظرت خلفها لتجد تاكومي مختبئًا خلف جذع الشجرة. كان يبدو عليه الارتباك واضحًا. رفعت ريكا حاجبيها قليلًا، ثم تحدثت بنبرة متروية وكأنها تتحدث عن سر غريب:

"سمعت أن الفراشة تحمل روحًا بداخلها، تمامًا مثلنا نحن البشر. حركاتها ليست مجرد فعل عشوائي للرياح، كما كنت أعتقد دائمًا".

جلس تاكومي بجانبها حتى لا يبدو أنه كان يراقبها، وهذا ما اعتقده. استمرت في الشرود فحسب. ادّعى تاكومي أنه لا يستمع لكلامها ونظر عبر الكاميرا والتقط صورًا للسماء، ثم قالت:

- لماذا تستمر في تجاهلي؟ ألا تتذكر اليوم الخامس من شهر سبتمبر؟

بقي تاكومي للحظات صامتًا، وعلامات الحيرة بادية على وجهه. كانت أفكاره مشتتة، أسيرة ذكرى مؤلمة طغت على كل شيء آخر؛ تذكر فقط أن ذلك اليوم هو أسوأ يوم مر عليه، الخامس من سبتمبر، اليوم الذي تجنّب التفكير فيه خشية أن يتكرر...

- - -

قبل سنوات، وفي لحظة عابرة تغيّر كل شيء بالنسبة لتاكومي. كانت سيارة عادية تقلّ عائلة صغيرة حين اندفعت قطة سوداء إلى منتصف الشارع. مع صرخات فتاة صغيرة تردد "يونا"، ضغط السائق على الفرامل، لكن الوقت كان متأخرًا.

في جزء من الثانية، صدمت السيارة القطة، ثم انزلقت بعنف نحو عمود كهرباء. دوى انفجار ضخم وتصاعد اللهب. مات والدا تاكومي في الحال، وتحول جسد القطة إلى ظل ميت على الطريق. أما تاكومي فكان غارقًا في الدماء، يصارع الموت.

كانت ريكا الفتاة الصغيرة تقف هناك وتراقب المشهد بلا انفعال يُذكر. عيناها تركزتا على ذلك الطفل الذي سُحب من بين الحطام، نجا بأعجوبة بينما فقد والديه في لحظة. كانت عينه اليسرى بلون السماء الصافية، والأخرى كأنها قطعة من غروب الشمس.

سيارات الإسعاف هرعت وحملت الضحايا للمشفى على عجل. الجميع كان مشغولًا بإنقاذ من تبقى... الجميع عدا ريكا. وقفت دون أن تتحرك، تنظر إلى الأجساد الميتة بعيون باردة. لم يلتفت أحد إلى جثة "يونا"، القطة التي دُهست لدرجة أن جسدها بدا كقطعة من البساط المبلل بالدم.

في المستشفى، صرخ الطبيب: "الطفل ينزف! فصيلته نادرة جدًا، لا يوجد لدينا دم مطابق الآن"!

تقدمت ريكا ذات الثلاثة عشر عامًا ترتجف وقالت: "أنا نفس فصيلته... خذوا مني".

-لكنها طفلة! اعترضت الممرضة.

- وهو أيضًا طفل، رد الطبيب بصرامة.

نزف دم ريكا إلى جسد تاكومي ببطء، فقط كمية بسيطة بالكاد كافية لإبقائه حيًّا حتى يصل الدم من بنك التبرع. نظرت ريكا إليه وهم يوصّلونه بالأنابيب، وهمست بصوت باهت: "يجب أن تستمر في العيش".

ومنذ تلك الليلة... تاكومي سمع صوتها بصعوبة، لكن صوتها قد علق في اللاوعي. وهي... لم تنسه أبدًا.

***

عمَّ الصوت لثوانٍ في غرفة تاكومي، ثم سمع خطوات الأقدام تغادر الرواق. التقط الورقة وفتحها، وجد رسالة تقول:

"إن ظننت أن بقاءك هنا خيار صائب لمجرد رخص ثمن الإيجار، فأنت على خطأ، إلا إذا كانت حياتك لا تساوي لديك شيئًا. لقد شاءت الصدف أن أستمع إلى همساتهم، وها أنا أخط هذه السطور لأحذر الآخرين من المصير الأسود الذي ينتظرهم.

لقد كانوا يتداولون الحديث عن وجبتهم التالية... إنهم ليسوا بشرًا، بل وحوش تتستر في هيئة آدمية".

جلس تاكومي على الأرض وتعبير الصدمة لا يفارق وجهه. كل شكوكه كانت صحيحة! كان يطبق حاجبيه ويمشي في الغرفة ذهابًا وإيابًا محاولًا تذكر أي دليل آخر... "هل يمكن الاعتماد على هذا وحده كدليل؟ لكن الشرطة لم تعثر على شيء أثناء التفتيش".

بعد تفكير مطول كان عقله يهمس: المكان خطير هنا...

لكن قلبه همس: ألست تبحث عن الفناء؟ تفضل أن الموت هنا على طبق من ذهب... وعلى يد فتاة جميلة...

بعد لحظات فتح باب غرفته على الممر، نزل لغرفة الطعام التي تتواجد في الطابق الأول، ووجد امرأة تحضّر طاولة الطعام. فجلس على إحدى الكراسي بهدوء. جلست المرأة بجانبه، كان الشعر البني الكثيف يتدفق على كتفها. رفعت عينيها اللوزيتين وقالت بصوت هادئ:

"اسمي أكيمي ساغارا وأنا الطباخة. أأنت تاكومي ساتو؟"

. نعم...

تشُدّ أكيمي خدّ تاكومي وتقول:

—ذوق ريكا في الشباب يبهرني كالعادة...

أبعد تاكومي يدها مستغربًا:

–أخبرتني ريكا أنها تريد إدارة الفندق، لكن لماذا لا تريدين أنتِ أو إينوي ذلك؟

رفعت حاجبيها بدهشة وقالت:

–هذا غريب. ريكا عادةً لا تتحدث عن نفسها للغرباء.

سكتت لحظات، ثم أضافت بصوت منخفض:

–كل ما في الأمر أن... والدا ريكا، تاتسو ساغارا وهينا، تركاها هنا لوحدها ليقوم والداي، السيد إيجي، بتربيتها، وانتقلا للعيش في مدينة أخرى، وكانا يرسلان المال من أجلها كل شهر... إلى أن رُزقا بطفل رضيع. لكن الطفل وُلد مصابًا بالسرطان، ومنذ ذلك الوقت... توقف المال.

وقفت ريكا خلفهما مباشرة، وربّت بلطف على رأس أكيمي وهي تقول بصوت هادئ:

–عمّتي العزيزة... أين الطبق المميز لهذه الليلة؟

ارتجفت أكيمي فجأة من صوت ريكا رغم نبرته اللطيفة، ونهضت من مكانها بسرعة:

–سوف أحضره حالًا... لا تغضبي، يا صغيرتي.

غادرت أكيمي غرفة الطعام مسرعة نحو المطبخ، بينما جلست ريكا أمام تاكومي تبتسم له كعادتها...

بعد لحظات، عادت أكيمي حاملة طبقًا من اللحم، وضعته أمام تاكومي بصمت ثم غادرت الغرفة.

قالت ريكا:

– إنه مجاني.

حدّق في تلك الابتسامة الثابتة المرسومة على وجهها، فغمره إحساس متناقض، مزيج من لطف غريب وقسوة مرعبة. شرع يقطع قطعة اللحم أمامه ببطء، ثم ما إن انتهى من طعامه حتى سألته ريكا:

–هل استمتعت به؟

–نعم، إنه جيد.

انطلقت من ريكا ضحكة عالية شقّت صمت الغرفة، ثم قالت ببرود قاتل:

–إنه لحم بشري.

وما هي إلا لحظات حتى غادرت الغرفة، تاركة وراءها تاكومي متجمّدًا في مكانه. وعيناه ترتجفان وسط فراغ الصدمة. في تلك اللحظة، انغرزت صورة "كوهاكو" في ذهنه كخنجر... وجهه الشاحب وقد تحوّل إلى لوحة دامية.

اندفع بجنون نحو الطابق الخامس، وهجم على الحمام، قدماه لم تستطع حمله وأجبر نفسه على التقيؤ ليخرج كل ما ابتلعه. وقف يترنح، وسعال مرير يخنق أنفاسه كلما تذكر منظر اللحم ومذاقه الحلو الشاذ.

نظر تاكومي إلى انعكاسه الشاحب في مرآة الحمام، وجهه المبلّل بالعرق بدا كأنه يتلاشى. إلى جانبه وقف كوهاكو غارقًا في دمائه. رفع تاكومي يديه المرتجفتين إلى وجهه، وهمس بصوت خافت ممزق:

–لماذا... نحن هنا؟

عاد تاكومي إلى غرفته المظلمة، حيث استلقى على فراشه وقد أضناه الإرهاق. كان صوت المطر يتسلل إليه من وراء الجدران، ممزوجًا بنبرة حزينة وكأنه عتاب خفي، كان يتسلل من الغرفة التي في الطابق السفلي.

لم يعرف تاكومي متى بدأت الغرفة تذوب. كانت الجدران تتنفس والسقف يهبط ببطء، وهو ممدّد على ذلك السرير، ثم ظهرت ريكا. لم تدخل... لم تمشِ... كانت ببساطة واقفة هناك قرب قدمه، ترتدي ثوبًا أبيض طويلًا يقطر بالماء، شعرها الأسود مبلول يلتصق بوجنتيها، لكنها كانت تبتسم.

حاول تاكومي الكلام لكنه لم يستطع. كان صوته مجمّدًا في حلقه وجلده ينتفض تحت وطأة الخوف...

أخرجت من جيبها سكين مطبخ، ثم رفعت يده اليمنى ببطء كما لو كانت ترفع وردة لتقطفها. عيناها تراقبان يده فقط. بدأت تقطع بدقة، تقطيعًا يلامس العظم، وكان يراها وهي تقطّعه ويشعر بكل شيء؛ كل قطرة دم، كل عصب يُنتزع، وكل وخزة تمرّ من أطراف أصابعه إلى دماغه...

مرّت دقائق أو قرون، لم يكن يعلم. شعر بدفء لمستها. أحبته بما يكفي لتقسّمه إلى قطع، كي لا يهرب منها أبدًا... ثم... انطفأ كل شيء.

استيقظ تاكومي وهو مرتعش. الغرفة مظلمة ونافذته نصف مفتوحة، والبرد يتسلل إلى عموده الفقري. وضع يده على صدره، على عنقه وعلى ذراعه... لكن شيئًا ما لم يكن صحيحًا. شعر بوخز ألم خفيف.

جلس هناك ونظر إلى الجرح الذي بدا قديمًا على ذراعه، وحاول أن يتذكر: هل كانت ريكا هنا حقًا؟ هل زارتني وأنا نائم؟ ربما... لم يكن كابوسًا.

حل الصباح الذي لا يزال على عتبة السماء حين غادر تاكومي غرفته متثاقل الخطى وسط رواق يغلفه الظلام والصمت. لم تكن هناك سوى خفقات خافتة من نور بعيد بسبب الغيوم، لكن

الغرفة المقابلة له، الغرفة رقم 24، بدت مظلمة على نحو غير طبيعي.

اقترب منها تاكومي بدافعٍ لا يفهمه... أدار المقبض بهدوء، لكنها كانت مقفلة. انحنى وحدّق في فتحة القفل... لم يرَ شيئًا في البداية سوى انعكاس ضوء خافت من النافذة، لكن بدا وكأن هناك ظلالًا تتحرك... ببطء.

جثا على ركبتيه، ونظر من أسفل الباب. وهناك رأى أصابع قدمين حافيتين تسير بصمت على الأرضية الخشبية، ثم توقفت.

وفجأة، يد باردة كالثلج أمسكت بكاحله بشراسة. شهق تاكومي وتجمد في مكانه، لكن قبل أن يتمكن من الصراخ، سمع همسًا حادًا من خلفه:

–ماذا تفعل هنا...؟ ومن تكون؟

التفت بسرعة مذهولًا... كان رجلًا يقف خلفه بصمتٍ مخيف. وجهه مغطى بشعر طويل كثيف، لا تُرى منه سوى شفتين شاحبتين تفوح منهما رائحة فم عفن. كان يرتدي ملابس.

قال تاكومي بسرعة محاولًا التماسك:

–سقطت قطعة نقدية... رأيتها تتدحرج إلى هنا... أردت فقط استعادتها...

صمت الرجل لوهلة، ثم اقترب حتى كاد أنفاسه تخترق تاكومي، وهمس:

–اذهب إلى إينوي... سيُعيد لك النقود...

ثم استدار واختفى في العتمة، دون صوت...

في الصباح الباكر وجد تاكومي ريكا في المطبخ، تقف أمام الموقد تقلب شيئًا وتدندن لحنًا طفوليًا. التفتت إلى تاكومي وابتسمت وقالت:

–نمت طويلًا.

جلس على الكرسي وهز رأسه بصمت، وابتسامة باردة تشق وجهه. جلست قبالته على طاولة المطبخ، فأخفى ذراعه اليمنى تحت الطاولة. كانت تراقبه ولم يسأل ريكا عن شيء، لأنه لن يفهم الإجابة، وإن فهمها فلن ينجو.

همست بعد لحظة:

–هل حلمتَ بشيء؟

شرب تاكومي الماء كمن يطفئ حريقًا في صدره، ثم تمتم:

–لا...

أومأت، فقط موافقة صامتة مشحونة بما يكفي لتحطيم أعصابه. كانت تقطع الخبز بسكين صغيرة، وصوت المعدن على

الخشب أعاد له صدى السكين في الحلم... التقطيع البطيء والتنهيدة ثم نظرتها الأخيرة.

رفع تاكومي بصره إليها، وسألها بعينيه المرتجفتين:

–كنتِ هناك... أليس كذلك؟

لم تجب... ثم قالت بصوت بدا متعبًا:

–أليس من الجميل أن تحب شخصًا على حقيقته؟

-3-

طقوس تشّويه القمر

بعد أن مرّ يوم عادي مملوء بالهدوء والعزلة لتاكومي في الجامعة، في المساء وقت العشاء عاد إلى الفندق، دخل عبر ذلك الباب الصدئ وهو يفكر:

كان يجب أن أهرب... أن أُبلغ أحدًا وأن أفكر بعقلانية. لكن هناك شيء ما... شيء فيها لا يزال يناديني... إنه صوت هامس وباهت، صوتها في ذكرياتي وهي تقول: "يجب أن تستمر في العيش"، لكنها في الحقيقة تريد قتلي...

وحينما صعد الدرج لمح ضوءًا من غرفة الطعام، وجد الجميع في الغرفة والمصابيح المعلّقة فوق الطاولة تصدر طنينًا خفيفًا، كأنها تئن من ثقل الجو. جلس تاكومي بعد إصرار من أكيمي عليه، ثم بدأت أكيمي تُعرّفه على أفراد عائلة ريكا وهم يتناولون طعام العشاء. حافظت على ابتسامتها الهادئة التي بدت وكأنها مطبوعة على وجهها، وقالت بنبرة مرحة:

–بما أنك ستبقى لأطول فترة ممكنة في هذا الفندق، فمن المهم أن تتعرّف علينا... فأنت على وشك أن تصبح جزءًا من عائلتنا.

أشارت أكيمي بابتسامة عريضة تخفي شيئًا خلفها، إلى الشاب المنزوي في الزاوية الذي كانت عيناه ملتصقتين بشاشة هاتفه، ويده الأخرى تعبث بصحن طعامه بلا اهتمام:

–إينوي ساغارا... موظف الاستقبال. التقيت به سابقًا، أليس كذلك؟

رفعت حاجبها ونظرت إلى تاكومي:

–إنه مهووس بالإنترنت والتصوير، يقضي حياته خلف الشاشة، وإن خالفته الرأي... أوه، سيهاجمك كأنك أهنْتَ شرف العائلة!

ضحكت ضحكة حادة فيها شيء من السخرية.

قال إينوي بنبرة باردة:

–أسمعكِ يا أكيمي... اخرسي.

توقفت لحظة، ثم تجاهلته بابتسامة مصطنعة وواصلت كأن شيئًا لم يكن. أومأت برأسها نحو الرجل الجالس إلى يمينها بهيئة مرتّبة:

–وهذا زوجي العزيز، كوجي... هو من يهتم بترتيب الغرف وتنظيفها. حنون وهادئ جدًا، نسخة نقيّة من كل ما هو جميل...

ابتسم كوجي بهدوء ناظرًا إلى تاكومي، وربّت بخفة على يد زوجته كمن يؤكد صدق كلماتها. واصلت أكيمي حديثها:

–أنا، أكيمي... أتكفّل بالطهي وتقديم الطعام. المرأة الذكية، الرائعة... باختصار ههه.

ثم أشارت إلى فتى في الزاوية، شعره بلون نار هادئة وعيناه تختبئان خلف نظارات طبية:

—وهذا ريوتا، ابني. عمره خمسة عشر عامًا، متفوّق، فاز بعدة مسابقات. هل تعلم من أين ورث ذكاءه الخارق؟

ساد صمت خاطف. نظر تاكومي إليها مترددًا، كمن يخشى أن يخطئ الجواب:

—منكِ؟

انفجرت ضاحكة ضحكة طويلة:

—بالضبط! مني...

ابتسم تاكومي لها بصعوبة، بينما كانت عيناه تجولان في المكان متفحصًا بقية الوجوه. أخيرًا، أشارت إلى فتاة صغيرة، بشعر أسود قصير وعينين بلون الذهب، كانت جالسة بهدوء، تأكل بطريقتها الخاصة:

—وهذه ماري... أصغر أفراد العائلة. غريبة الأطوار كما تصفها مدرستها هههه. لا تحب المزاح، ولا تتحدث كثيرًا...

أنهت ماري طعامها بهدوء، ثم رفعت رأسها ونظرت إلى تاكومي نظرة طويلة، ثم قالت:

—لا تنسَ ما قلته لك من قبل.

وتغادر ماري غرفة الطعام. في الطرف الآخر من الطاولة، رفع إينوي رأسه ثم تمتم بصوت منخفض لا يكاد يُسمع:

—إذًا... أنت من سيتزوج ريكا... وتدير هذا الفندق الملعون؟

تجمّد تاكومي في مكانه، وابتلع ريقه، قبل أن يقف إينوي خلف تاكومي ويمد يده فجأة ويضعها على رأسه وهو يتمتم ببطء:

—هذا شعر ناعم جدًا...

ثم أمسك رأس تاكومي بكلتا يديه فجأة، يهمس لنفسه بشيء غريب. لم تمضِ سوى لحظات حتى ظهرت ريكا من خلفه وركلته بقوة على مؤخرته. سقط أرضًا:

—أخرس، أيها المنحرف.

نظرت ريكا إلى إينوي للحظة سريعة بعينين جامدتين، ثم التقطت صينية الطعام والدواء وقالت:

—سأصعد بهما إلى جدي.

وغادرت الغرفة بخطوات ثابتة، تاركة وراءها ظلًا من التوتر والريبة. جلس إينوي على الأرض يتمتم بكلمات غير واضحة، قبل أن يتمتم بصوت مسموع وهو يعيد ترتيب نفسه:

—تعتني به فقط لأنه يحتضر... تريد أن يكتب وصيته باسمها...

ثم نهض وغادر الغرفة دون أن يلتفت، وصوت خطواته يتلاشى في الممر. خيّم الصمت مجددًا.

سأل تاكومي بصوت خافت كمن لا يريد أن يسمع الإجابة:

—هل... هل هناك مقيم آخر في الفندق؟ رأيت رجلًا... ذا شعر أسود طويل يغطي وجهه...

نظرت إليه أكيمي للحظة دون أن تبتسم ودون أن تومئ، ثم قالت بصوت ناعم أكثر من اللازم:

—لا أحد غيرك ينام هنا... نحن فقط، عائلة ساغارا.

في ظلمة تلك الليلة الساكنة، انتفض تاكومي من نومه فزعًا من سريره، تطارده كوابيسه المخلصة التي لا تفوته ليلة. عبثًا حاول استعادة النوم، فقرر الصعود إلى سطح الفندق. تحت ضوء القمر الكئيب وجد ريكا واقفة على حافة السطح، يتردد في الأجواء صوت غنائها الحزين والذي بدا لطيفًا بعض الشيء...

بعد لحظات من تأمل تاكومي في صوتها، عاد إلى رشده وهرع نحوها بخطوات مسرعة وجذبها بقوة من على السور، وظل ممسكًا بيدها بإحكام. نظرت إليه ريكا مع ابتسامة شاحبة تظهر على شفتيها لا تضيء عينيها المطفأتين:

–أنا لا أريد الموت.

ترك يدها وجلس على الأرض يأخذ نفسه مرتاحًا:

–لا أريد رؤية الدماء مرة أخرى...

وجّهت ريكا نظرها نحو القمر الصامت، فلاحظ تاكومي شرودها وسألها بنبرة سريعة ومتوترة:

–ماذا كنتِ تفعلين؟ هل كنتِ تحاولين الحصول على منظر أفضل للقمر؟ لأنه بصراحة، من هنا يبدو أصغر بكثير...

كان تاكومي يتحدث بسرعة وبصوت أعلى من المعتاد، وعيناه تتحركان ذهابًا وإيابًا بشكل ملحوظ.

أجابت ريكا بهدوء:

–هل تشعر بالقلق عليّ؟

حدّق تاكومي في عينيها الحمراوين، فانتزع منه مشهدها ضحكة واهنة لم يقصدها. تبعته ريكا بضحكات خافتة، ثم قال:

–ريكا... أنتِ تُشبهين صندوق باندورا.

يتوقف، يراقب ردّ فعلها، ثم يكمل بصوت هادئ:

–لكنك حُلوة...

ريكا تبتسم ابتسامة جانبية:

–باندورا؟ الصندوق الذي أخرج الشرور للعالم؟..

–نعم... أسطورة يونانية قديمة. حين فُتح الصندوق، خرجت منه كل الشرور...

تبتسم مجددًا وكأنها سمعت نكتة خفية، وتتمتم:

–حُلوة؟

حلّ الصباح وأشرقت الشمس أخيرًا، مبددة ظلام الليل الطويل. خرج تاكومي من ذلك الفندق، خطواته ثقيلة وسار دون وجهة محددة حتى انتهى به المطاف في حديقة قريبة، حيث جلس على أحد المقاعد يفكر في الليلة الماضية والعشاء الذي لم يغب عن ذهنه، وكذلك تلك النظرات الساخرة التي تبادلها أفراد عائلة ساغارا...

بينما كان يمسك الكاميرا بين يديه، غاص في ذكرياته المتشابكة، سمع صوتًا خافتًا يأتي من جانبه. التفت ليرى نفس المرأة العجوز التي تحدث معها من قبل، وجهها شاحب مغطى بطبقة رقيقة من التجاعيد، تجلس بجانبه بهدوء وكأنها ظهرت من فراغ، ثم قالت:

–ما رأيك في تلك الفتاتين اللتين تلعبان هناك؟

كلماتها كانت كالصدى في الهواء... ثم قالت متسائلة:

–هل تعتقد أنهما في كامل سعادتهما؟ أنهما وحيدتان في هذا العالم... مثلك تمامًا...

استمر تاكومي في النظر إلى الفتاتين بشيء من الحزن، أمسكت العجوز ذراعيه بقوة ثم تحدثت دون أن تشيح نظرها عن عينيه:

–هل تجرأت على قضاء ليلة في ذلك الفندق؟ حيث يضمك سقف واحد مع كائنات تتجسد فيها الوحشية في هيئة بشر... أو بالأحرى، بشر يختبئون خلف أقنعة حيوانية. هناك... تتناول العشاء على طاولة واحدة مع مفترسين يتحدثون لغتك بطلاقة، وفي هذا المكان المريب، للجدران عيون تراقبك، وللأبواب آذان تُصغي لهمساتك...

أشاح تاكومي بنظره عن العجوز، محاولًا التملّص منها والابتعاد، لكنها وقفت من الكرسي وراحت تمشي بعيدًا، يتردد في أذنه صوتها الخفيف الذي يحمل نبرة تنذر بالشؤم.

الحديقة كانت صامتة. الريح بالكاد يحرّك الأرجوحة القديمة. وقف تاكومي على طرف الحديقة مغادرًا المكان، حين لمح المهرج يلعب مع ماي وأختها الصغيرة أيومي؛ ضحكات خفيفة، أصوات أقدام تدور على العشب، والمهرج يركض بخفة. أنفه الأحمر يلمع،

وشعره الأبيض يتطاير مع كل حركة. قبعته السوداء تميل فوق عينه اليمنى، وملابسه الخضراء اللامعة تبدو أكثر سخرية وسط كآبة المكان.

ابتسم المهرج ابتسامة عريضة، ثم فجأة رفع يده اليمنى... ثم انفصلت اليد وسقطت على الأرض بهدوء، كما لو كانت دمية قماش فارغة. تجمدت أيومي، وشفتيها فُتحتا بصمت قبل أن تصرخ. ثم تراجعت، تمسكت بفستان أختها، وصرخت: ماي!! أريد أمي...

ماي أمسكت بيدها، وهربتا معًا من الكائن الذي لم يعد يبدو مرحًا.

تاكومي بقي في مكانه، لم يتحرك، والمهرج استدار نحوه ببطء. كانت عيناه مضيئتين، بلا روح. ابتسم له... ثم غادر.

مرَّ اليوم بسلاسة حتى حلول المساء، وكان الجو في فندق ساغارا يزداد كثافة مع اقتراب الليل. مرّت ريكا عبر الممر ورأت إينوي يخرج من غرفة جدها، تعابير وجهه غامضة... مشت بسرعة نحو الغرفة، قلبها يخفق بشدة وعيناها تحملان قلقًا. دخلت الغرفة، وعيناها تبحثان عن أي علامة قد تدل على حدوث شيء غريب.

كانت تتنفس بصعوبة، بينما كان خوفها يزداد في كل خطوة تخطوها نحو السرير، ثم نظرت بترقّب إلى حالته... أمسكت ريكا بكوب فارغ كان موضوعًا بجانب السرير. رفعت الكوب إلى أنفها وشمّته بتمعّن. رائحة غريبة كانت عالقة فيه...

أمّا إينوي فقد بدا عليه الاستغراب حين اكتشف قلقها الزائد، وقال:

–ما الذي يجعلك تتدخلين بين الأب وابنه؟

انزعج كثيرًا... ثم، دون انتظار ردّها، دخل إلى المطبخ ليبدأ تمتماته مع أخته أكيمي. تمتمات لا تُسمع...

وفي تلك الأثناء، اتجه تاكومي نحو الحمام، خطواته بطيئة وهو يحاول تجاهل صدى الأفكار التي تلاحقه. مد يده نحو المقبض... مغلق. وقبل أن يسأل أو حتى يعبّر عن استغرابه، انفتح الباب ببطء وخرج منه كوجي بهدوئه المعتاد، مرتديًا قفازًا بلاستيكيًا شفافًا. نظر إلى تاكومي بابتسامة صغيرة لا تصل إلى عينيه: اليوم... يوم التنظيف.

توقف لحظة، ثم أضاف وهو يرفع حاجبيه هامسًا: غرفتك... هل ما زالت تزعجك تلك الثقوب في الجدار؟

كانت نبرته هادئة. تاكومي لم يرد، فقط نظر إليه، ثم إلى القفاز، ثم إلى أطراف قميصه الأبيض الذي بدا عليه شيء داكن...

–أحيانًا، تخرج الأصوات من تلك الثقوب، أليس كذلك؟

قالها كوجي وهو يقترب خطوة. ابتلع تاكومي ريقه بصعوبة، وتراجع خطوة دون أن يجيب. مرّ بجانب كوجي ببطء، بينما الأخير يهمس له قبل أن يبتعد: إذا احتجت لشيء... أنا دائمًا في الجوار.

غادر تاكومي، ومشى نحو غرفته وفتح الباب ودخل ببطء، ثم أغلقه خلفه كمن يغلق تابوتًا على نفسه. أسند ظهره إلى الباب، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم جال بنظره في الغرفة. وجد ريكا جالسة على كرسي مكتبه، وكأنها كانت هناك طوال الوقت. نظراتها كانت ثابتة. ثم، وبكل عفوية، سألت: هل أنت بخير؟

شعر تاكومي بشيء من التوتر يساوره، لكن كلماته خرجت منه بشكل مفاجئ: ما الذي تفعلينه هنا؟ هل جئتِ لقتلي؟

ضحكت بصوت عالٍ وقالت: العكس تمامًا، لقد أتيت حتى أتأكد من شيء آخر... لقد ادّعيت بأنني ذاهبة لشراء الدواء لجدي... والآن...

يدق باب الغرفة فجأة، فيتردد في فتحه ويقول: ما معنى هذا؟

تقف ريكا من الكرسي، تتقدّم ناحية الباب وتفتحه، فتفاجأ بإينوي وفي يده سكين، أخفاه في جيبه بسرعة. استدارت ريكا ونظرت إلى تاكومي: أتيت من أجل هذا...

ضحك إينوي فجأة، مدّعيًا أنه يريد شيئًا من تاكومي، ثم انسحب مسرعًا... لكن تاكومي لمح لمعان سكين بين يديه. بدأ تنفّسه يتسارع، وتسلّلت نوبة الربو إلى صدره، فجلس على الأرض محاولًا التقاط أنفاسه. وبلا أي مبالاة، وضعت ريكا يدها في جيب معطفها، وأخرجت بخاخ الربو، ثم رمته أمامه ببرود: لا أفهمك... هل تفعل كل هذا من أجل كوهاكو؟

قالت ذلك وهي جالسة على كرسيه، تنظر إليه كما لو كانت تراقب غريبًا يحتضر. تاكومي وقد ضاق صدره أكثر، ضرب البخاخ على الأرض، ثم نهض بصعوبة. مدّ يده إلى جيبه وأخرج منشارًا يدويًا صغيرًا، أسند ظهره إلى الحائط، ووجّهه نحو ريكا.

—لم أعد أملك شيئًا لأحميه... لا أمانع الموت، هنا أو هناك.

ابتسمت ريكا، وكأنها سمعت ما يُرضيها، ثم استدارت مغادرة الغرفة ببرود قاتل.

في تلك الليلة المظلمة، وفي قلب مبنى مهجور، متهالك الجدران، تتدلّى من سقفه أسلاك صدئة كأنها عروق ميتة. والهواء باردٌ على نحو غير طبيعي... وسط هذا العفن المعماري، جلس ريوتا، متربعًا

داخل دائرة دم نزف من إصبعه. حوله تناثرت صفحات ممزقة من كتاب "ملك ناكامي"، تتلوى كأنما تتحرك وحدها.

عيناه كانتا ثقبين مفتوحتين على ما وراء الحياة، خاليتين من الطفولة. أمامه وقف ثلاثة أولاد صغار، أعمارهم بين الطفولة والمراهقة، وجوههم شاحبة كأن الدم قد سُحب منهم. كانوا يحدقون به بعيون مزيج غريب من الخضوع، الفضول، والرعب المتعطش لفهم المجهول. خلفهم، ثلاثة كلاب سوداء مُخدَّرة من نوع كاني كورسو.

قال ريوتا بصوته الذي لم يكن أشبه بصوت طفل: أريد ثلاث أرواح، لكن جسدًا واحدًا... كلبًا لا ينام، لا يرحم، لا يموت.

ثم رفع يده، بهدوء كأنما يُنزل حكمًا، ثبت الأطفال الكلبين الأول والثاني على طاولة معدنية صدئة. الصمت انكسر فقط حين اخترق الهواء الصوت المبلّل للسكين وهو يشق الجلد واللحم. ببطء، بتر ريوتا رأس الكلب الأول، ثم الثاني. كان الدم يقفز في الهواء كما لو أنه يرفض الموت، متناثرًا على وجه ريوتا...

الكلب الثالث كان يرتجف، لكن عينيه اتسعتا كأنما تدرك أنه سيصبح الوعاء. بدأ ريوتا بخياطة الرأسين المقطوعين إلى جانبي عنق الكلب الثالث. لم يستخدم خيطًا طبيًا، بل شعرًا بشريًا، مجدولًا كما الأوتار. ثم بخطى ثقيلة كأن الأرض تحت قدميه تهتز، اقترب من الكتاب، فتح صفحته الأخيرة، وتلا بصوت خفيض:

"اجمعهم... احرقهم... أعد خلقهم... جسّد لي الحارس بثلاثة أفواه، كلبٌ من موتٍ لا يلين، خُلِق ليحرس... وليُعاقب".

عمت لحظة صمت. ثم... ارتجّ المبنى كله، صرير الجدران كان كأنما أطرافه تتكسّر من الداخل... جفّ الدم، لكنه بدأ يتحرك من تلقاء نفسه. صرخ أحد الأولاد وسقط أرضًا.

الكلب الثالث بدأ يرتعش... ثم تململ... ثم فتح ثلاثة أفواه دفعة واحدة... عيون كثيرة انفتحت داخل العيون، كأنها مرايا. نهض الكلب بثقل جثةٍ أُعيد خلقها. ابتسم ريوتا نصف ابتسامة، وقال بهدوء شيطاني: والآن... أليس هذا ممتعًا يا رفاق؟ لقد وعدتكم بأن أريكم شيئًا خارقًا للعادة.

لكن قبل أن يجيب أحد، ارتجّ المكان من جديد، وانحنت الرؤوس الثلاثة في آنٍ، ثم تكلّمت معًا بصوتٍ ثقيل، كأنما جاء من بطن الأرض: «لستُ هنا... لمتعتك. أنا الآن... حارس الكتاب .»

كانت الساعة تقف على الثالثة فجرًا؛ ذلك الوقت الذي لا يكون فيه العالم نائمًا تمامًا... غرفة ريكا هادئة على نحو غريب، لكن هناك دائمًا شيء يتحرّك داخل جدران الفندق. جلست على طرف السرير، قدماها العاريتان تتدليان فوق أرضية خشبية باردة.

من الخارج، جاء همسٌ غير واضح، كأن أحدهم يتكلم خلف الجدار، بصوت رخيم، كأن الحروف تخرج من فم مليء بالدم. ابتسمت وقالت: آه، بدأتم باكرًا اليوم...

لم يكن هناك أحد في غرفتها، ولا أحد ينام في الغرفة المجاورة. تتوالى الهمسات ثم تتبعها ضحكات غريبة من خلف الجدران:

—تبدو كضحكتي وأنا في السابعة، حين أمسكتُ زميلةً لي في المدرسة وضربتُها ضربًا مبرحًا... وقلتُ إن كلبًا فعل هذا...

ضحكت ضحكة ناعمة وقصيرة، كأنها تعبير عن ملل أكثر من كونها سعادة. ثم انسحبت الهمسات إلى مكان أعمق...

—هل تغارون من حبي المتزايد لتاكومي؟

ردّت على الهمسات وهي تنهض، تنظر إلى المرآة الكبيرة المعلّقة على الجدار وسط الظلام. لكن انعكاسها لم يكن يبتسم، بل كان يراقب فحسب: أنا ما زلت هنا. لستُ مثلكم، لستُ جدارًا. أنا على الأقل أملك جلدًا أستطيع أن أقطعه متى أردتُ وأتحرّر منه.

في تلك اللحظة، اشتعل المصباح فوقها دون أن تمسّه. شهقت بخفّة... ثم رفعت رأسها نحو السقف، وهمست: هل تودّون التحدّث الليلة؟ أم تكتفون بالمراقبة؟

هدأ كل شيء، ثم سقط شيء من أعلى الخزانة... مجرد ورقة مطوية. فتحتها وكانت فارغة. ثم ضحكت ضحكة حقيقية هذه

المرة، كأنها فتاة كانت تتمنى أن يكون هناك شيء مكتوب: حتى أنتم... لا تعرفون ماذا تقولون لي بعد الآن.

كانت المرآة لا تزال هناك. لم تتحرّك. لم تتكسّر. فقط... انتظرت. حدّقت ريكا في انعكاسها طويلًا، ثم همست: أنا لستُ خائفة منكِ... أنتِ مجرد ظل، ولستِ أنا.

لكن الصورة في المرآة لم تقلّد حركتها، بل ابتسمت، كأنها قُدّت بسكين. ثم قالت بصوت يشبه صوت ريكا... لكنه أبطأ وأكثر خبثًا: كفى كذبًا. أنا التي صنعتُكِ. كل ما تفعلينه الآن... كل هذا القلق، هذا الحنان... لا وجود له لولا أنني أحببتُ القتل أولًا.

تراجعت ريكا خطوة إلى الوراء: هذا ليس صحيحًا. أنا كنتُ طفلة فقط. قلتُ لصديقاتي إنني أكلتُ لحمًا بشريًا لأنني ظننتُ أنه أمر طبيعي... لقد ضحكن عليّ.

ضحكت المرآة. ضحكة قصيرة، جافة، باردة:

–لكن ما آلمني لم يكن ضحكهن، بل... أنني لم أفهم لماذا نظرْنَ إليّ.

اقتربت ريكا أكثر. لم يكن في عينيها خوف، بل استسلام مع رغبة في الفهم: هل أنا سيئة؟ هل أنا وُلِدتُ سيئة؟

–لا، لم تولدي سيئة... وذاك ما يجعل الأمر أكثر إثارة. أنا تولّدتُ معكِ، من وحدتكِ، من الجوع الذي لم يُشبع، من الحب

الذي لم يُمنح، من الليل الذي كنتِ تبكين فيه تحت السرير ولا أحد يسمعكِ.

سقطت دمعة من عين ريكا، لكنها لم تمسحها: أنا فقط... لا أريد أن أكون مثلكِ. لا أريد أن أقتل أحدًا بعد الآن.

صمتت المرآة لحظة، ثم قالت بنبرة واثقة: لكننا فعلناها، أليس كذلك؟ وكنّا نبتسم.

ثم رفعت يدها، ولم تفعل ريكا الشيء نفسه، لم يتطابق فيها الانعكاس. شهقت ريكا ببطء ومدّت يدها للمس زجاج المرآة: هل يمكنكِ فقط... أن تتركيني؟

رد الصوت من الداخل، هامسًا هذه المرة، كأنّ كل الظلام تكثّف فيه: لكنني... إن تركتكِ، مَن سيحميكِ؟ مَن سيُذكّركِ بأن البشر يمكنهم أكل قلبكِ؟

اهتز الزجاج فجأة. صوت صرير صغير خرج من أطراف المرآة. ثم هدأ. كانت ريكا ما تزال تنظر، لكن الانعكاس اختفى. مرآة فارغة. فقط صورتها الآن. وجهها الحقيقي. خافتة. مرتجفة. لكنها تبتسم. همست: ربما لا يمكنني طردكِ... لكنني لن أدعكِ تتحكّمين.

ثم استدارت، وأغلقت المصباح، تاركة المرآة وحدها... في العتمة.

تاكومي لم يتحرّك. يده بقيت معلّقة أمام باب غرفته وهو يستمع لكلام ريكا التي كانت غرفتها تحت غرفته مباشرة، لكنه لم يفهم. صوتها كان واضحًا... أكثر وضوحًا مما يجب.

هل كانت... تضحك؟ كانت تضحك، نعم. لكنه لم يعرف لأي درجة كانت تلك الضحكة تخصّ إنسانًا عاديًا. ثم عبس قليلًا وفكّر: لم يكن هاتفًا، كان كلامًا موجّهًا إلى شيء آخر. شيء لا يُرى. أو ربما... يُرى فقط لمن عاش طويلًا داخل هذا الفندق.

تكهّنات كثيرة عبرت ذهنه في لحظة، لكنه لم يختَر واحدة منها، بل بقي يستمع، دون أن ينوي التدخّل. قلبه كان يهمس: هذه ليست أول مرة تتحدّث مع نفسها.

لكن عقله أجاب: وماذا لو لم تكن تتحدّث مع نفسها؟

حين سمع ضحكتها الأخيرة، الضحكة التي بدت كأنها خرجت من طفلة كسرت لعبتها المفضّلة، تنفّس بعمق: ريكا...

همس باسمها، دون أن يُسمعه أحد.

-4-

حينما يتكلم اللحم

في صباح اليوم التالي، فتح تاكومي باب غرفته بتثاقل، لكنه توقّف فجأة. كانت ريكا هناك جالسة على الأرض، رأسها مائل على كتفها نائمة كأنها استُنزفت. لم يُنبّهها، فقط نظر إليها للحظة، ثم تجاوزها بصمت، وكأن شيئًا في داخله رفض أن يفهم.

«ما الذي يحدث في هذا الفندق؟ ولماذا أشعر كأنني أغرق كل يوم أكثر؟ ولماذا ريكا تحمل هذا التناقض العجيب بين ما تحمله من ألم في عينيها وبين ما تفعل أحيانًا؟»

غادر المكان، يجرّ خطواته الثقيلة هاربًا من الفندق، حتى ابتعد كثيرًا ووصل إلى حديقة صغيرة. لم تكن حديقة بالمعنى الحرفي، تتناثر فيها ألعاب الأطفال القديمة، بعضها مكسور. جلس على الأرجوحة الصدئة، عقلُه لم يكن هناك.

»كوهاكو... أين أنت؟ هل ما زلت حيًا؟ أم«...

وفجأة، قاطعه صوت بكاء. التفت فرأى الطفلة أيومي تحاول اللعب بالرمل، فيما شقيقتها ماي تدفعها بقسوة حتى سقطت على الأرض. ركض نحوها غريزيًا، جثا على ركبتيه، ومدّ يده ليمسح دموعها. لكن... صوت غاضب أوقفه: لا تلمسها!

نظرت إليه ماي بعينين مشحونتين بالغضب والخوف، سحبت شقيقتها من يده بعنف، وقالت بنبرة ترتجف: أنت صديق تلك القاتلة، أليس كذلك؟ تلك التي دمّرت كل شيء!... لا تلمس أيومي، هل تريد إيذاءها كما فعلت ريكا بأمي؟!

لكن في الزاوية، لمح فجأة ريكا تقف خلف المبنى البعيد، نظراتها حادّة تسدّدها نحو الفتاتين. تجمّد في مكانه، غير قادر على تحريك عينيه عنها. ثم رمش بعينيه في لحظة، وعندما عاد ليحدّق في المكان، اختفت ريكا فجأة، كما لو كانت سرابًا.

ركضت الفتاتان بعيدًا. وقف مكانه، يحدّق في اللاشيء، وكأن الحديقة اختفت: ماذا فعلتِ يا ريكا؟

في المساء، فتحت ريكا باب غرفة جدّها بهدوء. كان السيد إيجي جالسًا على حافة السرير، حاجباه معقودان كما لو كان الزمن قد توقّف عند وجهه المتجهّم. شيء ما في ملامحه جعل قلبها يخفق على غير العادة... نهض ببطء، واقترب من الباب دون أن ينظر إليها. حين تحدّث، كان صوته منخفضًا كهمس يحمل تهديدًا: اتبعيني.

كلمته تلك لم تكن طلبًا... بل أمرًا. ريكا تبعته في صمت. كانت تعرف هذا الظهر جيدًا، الانحناءة الخفيفة، والكتفين العريضين. لكنها لم تعد تعرف، هل تحبه؟ أم تكرهه؟

تذكّرت يداه حين كانت تُمسك بها لتعلّمها استعمال السكين، إخفاء الجثة... كيف كانت يده قاسية أحيانًا، حنونة أحيانًا...

توقّف أمام خزانة خشبية ضخمة في نهاية غرفة صغيرة مهملة قرب المطبخ، دفع الخزانة جانبًا ليظهر خلفها باب خشبي قاتم. الباب يؤدي إلى القبو. قال بصوت خافت: ريكا...

تجمّدت أنفاسها. لم ترد؛ عيناها كانت مثبتة على ظهره، تنصت للصمت الذي طال. ثم تابع: كل ما علّمتكِ إياه حتى الآن... أريدكِ أن تستمري. هذا الفندق... سيكون لكِ، أنتِ وريثته.

ارتجفت ريكا داخليًا، ثم همست بصوت لم تعرف إن كان صوتها أو صوت قلبها: جدي... لماذا أنا؟ لماذا اخترتني من بين الجميع؟

استدار إليها، وحدّق بعينيه العجوزتين اللتين لم تخفت فيهما القسوة: لأنكِ تشبهينني... أكثر مما تتصورين.

ريكا أرادت أن تصرخ، أن تقول له إنها لا تريد أن تشبهه، إنها لا تريد هذا المكان، ولا إرثه الثقيل الملطّخ بالدماء... لكنها لم تفعل. كما لم تفعل أبدًا. فقط أومأت برأسها.

نزل الجد إيجي إلى القبو، وتبعته ريكا... حتى وطئت قدمها أرضية القبو البيضاء، كانت الأرض تحت قدمي ريكا لامعة على نحو مريب، ليس من أثر الضوء. وفي منتصف القبو ذي الجدران الغامضة، وقف الجد أو بالأحرى امتدّ جسده، متجذّرًا في الأرض،

كما لو أن قدميه تحوّلتا إلى جذور عميقة تمتص من باطنها. وحين نطق قال: اجلسي على الأرض.

لم تتحرك بإرادة، لكن ركبتيها انثنتا كما لو أن الأرض جذبتها إليها عنوة. أخرج الجد كتابًا «ملك ناكامي»، كبيرًا بشكل مزعج، كما لو كان جثة طفل ملفوفة. غلافه كان يتنفس كأن الكتاب يحتوي على تجاويف غير مرئية، وأخرج شيئًا لم يكن جسدًا... بل ظلًا هشًّا لتاج قديم، يتلوّى كالدخان بين أصابعه، وتمتم بكلام أشبه بالهمس: لقد قام ريوتا بعمل رائع، ذلك العبقري الصغير...

—اسمكِ...؟

قالها بصوت يشبه صدى حكم الإعدام، فهمست ريكا، رغم يقينها بأن كل ما فيها يتراجع: ريكا ساغارا.

اقترب منها وقال: إذًا اسمعي، وريثة ملك ناكامي. في الساعة التي تُفتح فيها الكتب، يُنسى الزمن. في اللحظة التي تخرجين فيها هذا الطقس، تكونين أقلّ إنسانًا...

عندها، ارتجّت الأرض. ثم سال من جبينها قطرة، لم تكن عرقًا. كانت دمًا حارًا. أخرج الجد وردة حمراء طويلة قد مُلئ غصنها أشواكًا صلبة، وغرسها في الظل الذي لا يزال يحوم فوقها. فور الغرس دخل في رأسها. لم يدخل بقوة... بل بانسياب غير طبيعي، كأنه عاد إلى موطنه. ثم، بكل بساطة، أغلق الكتاب.

وعندما فتحت ريكا عينيها من جديد، لم يكن الجد موجودًا. ولا القبو. كانت وحدها. لكن على حجرها... كان الكتاب.

في الصباح التالي وقف تاكومي عند الممر الذي بدا مظلمًا قليلًا، يتأمّل ريكا التي كانت تسرّح شعرها أمام المرآة مبتسمة بحماس. قال بنبرة فيها شيء من المزاح: لم أركِ متحمّسة هكذا... تليق بكِ الابتسامة.

توقّفت ريكا عن الحركة، حدّقت في انعكاسها، ثم نظرت إليه عبر المرآة. لم تقل شيئًا. ثم يضيف مبتسمًا: لكن لا تنسي، حتى لو ضحكتِ... لازلتِ تبدين مخيفة.

التفتت إليه ببطء، حاجباها ارتفعا بدهشة ممزوجة بالحرج، ثم قالت بصوت خافت: ماذا تعني... «مخيفة»؟

ضحك تاكومي بخفة: أعني... تلك النظرات الحادة، كأنكِ ستقتلينني في أي لحظة... لكنها جذابة، نوعًا ما.

أحمرّ وجه ريكا، وعيناها اتّسعتا قليلًا، لم تستوعب تمامًا هل كان يغازلها أم يسخر منها. وفجأة... دون تفكير، اقتربت منه ورفعت يدها وصفعته بقوة على خده.

الصوت كان واضحًا، مدوّيًا. تراجع تاكومي خطوة إلى الخلف، واضعًا يده على خده المحمّر، بينما هي تنظر إليه بعينين مضطربتين، وشفتيها ترتجفان. قالت:

–لا تكرر هذا... لا تعاملني وكأنني قاسية... حتى لو كنت تبتسم.

ثم أدارت ظهرها بسرعة، وخرجت من الفندق، وتاكومي واقف مذهولًا، لا يعلم تمامًا ما الذي قاله خطأ...

في الليل، وفي الظلمة، أخذت ريكا ترفع شعرها بأسلوب تقليدي، وثبّتت خصلتها بإبرة معدنية نحيفة كأنها خنجر صغير، أمام المرآة الكبيرة الموجودة في الممر، وهي ترتدي كيمونو حريريًا بلون أحمر قرمزي مزين بزهور بيضاء، وهي تفكر في سبب تغير نظرة تاكومي لها...

ثم تجاهلها في الجامعة، ولم ينظر إليها بالطريقة نفسها. فجأة، أصبحت نظراته حادة، حذرة، وهي... لم تتحمل ذلك. ثم تحركت باتجاه غرفة صغيرة مجاورة للمطبخ بكل هدوء، دفعت الخزانة الخشبية للأمام، وكشفت عن باب، ففتحته بصمت ثم أغلقته وراءها.

كانت خطواتها بطيئة، حافية القدمين، تنزل على الدرج، وصوت الكيمونو وهو يلامس الأرض يُصدر خشخشة.

عندما أضاءت مصباح القبو، امتصّ الضوء في جوف القبو الذي ابتلع كل شعاع، تاركًا المكان في ظلمةٍ دامسة. لا نوافذ، لا هواء، لا حياة؛ فقط جدران باردة تحكي عن الموت الذي خيّم هنا طويلًا.

على الكرسي الخشبي، جلست الفتاة ماي مقيدة اليدين والقدمين، عيناها مفتوحتان. وعلى الطاولة تمددت أختها أيومي نصف وعيها غائب، والدم ينزف بهدوء من فخذها الأيسر حيث بُترت قطعة لحم.

وقفت ريكا أمام ماي، وأمالت رأسها قليلًا كما تفعل النساء في التحايا المهذبة، ثم همست:

–من حسن حظك أن تكوني أول من يرى الوريثة في زي الكيمونو المتوارث...

ثم انحنت ريكا ببطء، والتقطت قطعة من اللحم دافئة، لا تزال تنكمش في يدها. رفعت نظرها إلى ماي وقالت بصوت هادئ:

–أردتِ أن تعرفي من أنا؟ أردتِ أن تتكلمي عني خلف ظهري؟ حسنًا، اسمعي جيدًا، اللحم يتكلم دائمًا بصدق.

ثم، دون أن تترك لها فرصة للبكاء أو التوسل، أدخلت ريكا قطعة اللحم في فم ماي، كأنها تطعم طفلًا. حاولت ماي الصراخ، التقيؤ، لكنها كانت مقيدة، مجبرة على التذوق... حتى الابتلاع.

أيومي بدأت تفيق، أطلقت أنينًا باهتًا، وحين التقت عيناها بعيني أختها لم تفهم في البداية... ثم شهقت، ثم أدركت أن الطعم الذي تصفه أختها بالغصة هو طعمها.

مشت ريكا ببطء، دائرة حول الطاولة، وقالت وهي تميل لتهمس في أذن ماي:

–العالم ليس عادلاً يا ماي... بعضنا يأكل، وبعضنا يُؤكل. أنتِ اخترتِ جانب الخطأ...

-5-

ذئب في المغسلة

لم يكن أحد يرتاد تلك المغسلة بعد منتصف الليل، باستثناء أولئك الذين ضلّوا طريقهم... الإضاءة الخافتة، والمصابيح التي تومض كأنها تحتضر، والغسالات التي تشبه التوابيت، خلقت جوًا كئيبًا.

كانت ريكا تجلس على كرسيّ معدني أمام آلة غسيل تدور بهدوء... ملابسها في الداخل ومعها شيء من الدم. المحل فارغ تمامًا، والصمت لا يكسره سوى هدير الماء. وعند المدخل وقف تاكومي بصمت، عيناه لا تفارقانها. قال بصوتٍ منخفض، دون أن يُحوّل بصره عنها:

—سمعتُ ذات مرة حكمة تقول: "الخراف التي تصدق أن الذئب قد تغيّر... تستحق أن تُؤكل".

استدارت إليه ببطء، ملامحها خاوية... فقط سكون غريب يكسو وجهها، ثم قالت:

—وأنت... ترى فيّ ذئبًا؟

لم يُجب فورًا. خطا خطوة نحو الداخل، وجلس على الكرسي خلفها وقال:

—أنا لا أرى، ريكا... أنا أستنتج. في هذا الفندق، الذئب لا يختبئ خلف جلد خروف... بل يرتدي هيئة إنسان، يستقبلك بأدب، يُقدّم لك الطعام، ويبتسم لك... بينما يحفر حفرتك ببطء.

لكنه لم يكن واثقًا مما يستنتجه بعد الآن. كلّما نظر إليها، بدا وكأنّها ترتدي وجهًا جديدًا لا يعرفه. ضحكت ريكا ضحكة قصيرة خاوية النبرة، ثم استدارت له ومالت برأسها وقالت:

—تقصد عائلة ساغارا؟

سكت كلاهما. وحده صوت المطر يقطر على الأرضية. سألت ريكا:

—وماذا عني؟ هل أنا الذئب... أم الخروف؟

—أنتِ... الذئب الذي فتنته براءة الخراف. تتأملينهم، ترددين... لا تعرفين إن كنتِ تريدين التهامهم، أم الهرب معهم.

اهتزّ جفنها للحظة. نظرت بعيدًا نحو باب المغسلة:

—وإن كنتَ متأكدًا أنني ذئب... لماذا لم تهرب؟

ابتسم تاكومي ابتسامة مريرة، وفي عينيه شيء من الحزن واليقين وهو يحدق في ظهرها:

—لأني أعلم...

قاطعته ريكا بوقوفها من الكرسي، ثم استدارت وغادرت المغسلة بصمت، كأنها تجرّ خلفها ذيل ذئب خجول. ظل تاكومي جالسًا، يحدّق في الفراغ الذي كانت تشغله.. وبعد لحظات، توقفت آلة الغسيل. هدأ كل شيء وأدرك أنه يجب أن يدفع ثمن غسيل ملابسها... وأن يحملها معه إلى الفندق. ضحك ضحكة قصيرة.

عاد تاكومي إلى الفندق، واتجه إلى المطبخ الذي شده نور الإضاءة الخافتة منه. كان الليل يحبس أنفاسه خلف الجدران، والقمر يراقب بصمت من خلف زجاج النافذة.

وجد ريكا جالسة على كرسي بالمطبخ بصمت. لم يكن في المطبخ سوى صوت وخزات الإبرة وهي تخترق قماشًا قديمًا. كانت تخيط قميصًا رجاليًا باهت اللون، وكأنها لا تُصلح... بل تخيط كفنًا.

تقدّم تاكومي ووضع سلّة ملابسها على الأرض بجانبها، راقب رأسها المنحني وتركيزها الغريب... ثم، دون أن ترتعش، دخلت الإبرة في إصبعها. لم تئن؛ فقط راقبت الدم وهو يتفجّر قطرة قطرة، ثم وضعت إصبعها في فمها.

شعر تاكومي بانقباضٍ في صدره. ركض إلى علبة الإسعافات الصغيرة بجانب خزانة الأواني. فتحها بعجلة، يفتّش عن شريط لاصق... ثم توقفت أصابعه. أمسك علبة دواء معدنية قديمة، وقلبها بيده معتقدًا أنه مسكن ألم... حتى قرأ العبارة الصغيرة بخط يدوي باهت: "عقار العقم – استخدام مستمر".

رفع رأسه إليها ونظراته مشوشة، وكأن الكلمات خرجت من فمه مترددة:

—ما هذا...؟

ريكا ببرود، ولا تزال تمتص إصبعها:

—أنا أتناول هذا الدواء... يسبب العقم الدائمًا.

وقف في مكانه عاجزًا عن الفهم. كأن الهواء أصبح أثقل من أن يُتنفس. قال تاكومي بصوت خافت:

—منذ متى؟

—منذ قررت أنني لا أريد أن أنجب طفلًا يحمل وزر ألمي... كما فعل بي والداي.

كانت كلماتها تهبط على قلبه بثقل الحجارة. لكنه لم يرَ في عينيها ندمًا. كانت ساكنة... إلى درجة أخافته. نهضت فجأة كأن ذكرى بعيدة مرّت كالشظية في قلبها. تجولت بعينيها في المطبخ، تبحث عن شيء لا اسم له.

تاكومي يهمس لنفسه:

—أنتِ قوية جدًا... أن تتخذي قرارًا كهذا وتنفذينه دون أن يرفّ لكِ جفن...

لكنه في أعماقه لم يكن واثقًا بعد... هل هذه قوة؟ أم بداية تآكل بطيء؟ مثلما يحدث معه... كلّما حاول فهمها، ازدادت

ابتسامتها غموضًا. وغالبًا تبتسم... ثم تقول شيئًا مرعبًا كالسكاكين.

قالت ريكا بهدوء مفاجئ:

–بالمناسبة... لماذا أنت هنا في الأساس؟

جاء السؤال فجأة، فقطع شرود تاكومي فرد من دون تفكير:

–لم أعثر على سبب للعيش... لذا بدا لي أن الموت هنا لن يكون سيئًا.

ضحكت مجددًا... ضحكة ناعمة غريبة لا تصل للعينين ثم همست:

–عظيم... على الأقل نحن ننتظر النهاية في المكان نفسه.

في مساء اليوم التالي دخلت ريكا المطبخ الهادئ، حيث كانت ماري الصغيرة تقرأ كتابًا عن الطبخ وهي محتارة. ابتسمت ماري بوداعة لريكا وسألتها:

–هل تستطيعين مساعدتي في إعداد الكعك؟

–للأسف، المطبخ ليس مكاني..

ثم نظرت إلى طبق الدونات الموضوع على الطاولة، والذي أعدته أكيمي، فجلست ريكا بهدوء وبدأت تستمتع بمذاقه الحلو.

في تلك اللحظة، دخل تاكومي إلى المطبخ، سألته ماري إذا كان بإمكانه أن يساعدها في طبخ الكعك.. تطوع تاكومي على الفور وبدأ يساعد ماري بخفة ومهارة في تحضير المكونات. وبينما كانا يعملان جنبًا إلى جنب، أخبرها تاكومي بابتسامة حنين أن هذه الوصفة عزيزة على قلبه.

جلست ريكا تراقب المشهد بابتسامة هادئة. نظرت إلى ظهر تاكومي العريض وهو يرتدي ذلك المئزر الزهري المرح. بعد أن انتهيا من تزيين الكعكة بألوان زاهية، حملتها ماري بعناية ووضعتها في الثلاجة لتبرد وتتماسك استعدادًا لوقت الاحتفال.

دخل إينوي إلى المطبخ ولم يتمالك نفسه عن إطلاق تعليق ساخر موجه نحو مظهر تاكومي، وهو ما أشعل غضبًا مكبوتًا لدى ريكا، فلم تتردد لحظة، وحملت كرسيًا كان قريبًا منها، واندفعت به نحوه. ارتطم الكرسي بالأرض بجوار إينوي، بينما كانت ريكا تطلق سيلًا من الكلمات الغاضبة بنبرة حادة:

—اخرس أيها اللعين! لا أريد سماع صوتك البغيض في هذا الفندق بعد الآن. أكرهكم جميعًا بلا استثناء! كان خطأً فادحًا مني أن سمحت لك ولعمتي وزوجها بتولي مسؤولية الاعتناء بجدي. حالته في تدهور مستمر، لا تبرر، ولا تحاول الكلام، يجب أن تصمت تمامًا.

فجأة، وضعت ريكا يديها على رأسها بقوة من الألم، وكأنها تحاول تهدئة عاصفة هوجاء تدور بداخلها. اتسعت عيناها بشكل مخيف، حتى بدا وكأنهما ستنفجران من محجريهما. في تلك اللحظة ساد صمت مطبق في المطبخ. كل من كان موجودًا تجمد في مكانه. ثم استدارت وغادرت.

جلست على حافة سطح الفندق، والريح الباردة تصفع وجهها. ضمت ركبتيها إلى صدرها، وراحت تحدّق في المدينة الغارقة في الظلام.

-6-

مشاعر آكلي لحوم البشر

في تلك الليلة وضعت أكيمي الكعكة فوق الطاولة المستطيلة في غرفة الطعام. كانت الطاولة طويلة، مكسوّة بمفرش ثقيل بلون العاج القاتم، تغرق تحت ضوء ثريا قديمة تترنّح بهدوء في السقف، تبث وهجًا أصفر. ذهبت ماري إلى غرفة والدها الذي كان مستلقيًا على الأرض حول النفايات. أمسكت يده وأخرجته من غرفته وفاجأته بغنائها: "عيد ميلاد سعيد يا أبي."

فرح الجميع وأصبح الجو لطيفًا بحضور جميع أفراد عائلة ساغارا ما عدا الجد. وبالتصفيق الحار والابتسامات، اندمج تاكومي في هذا الجو الغريب قائلًا لنفسه: إذاً هذا الرجل الغريب هو والد ماري...

نظر هيروشي من بين خصلات شعره الكثيف والمهمل إلى الكعك، ثم إلى ابنته وقال: نعم.

قدّمت ماري قطعة الكعك لوالدها بعينين ترتجفان ترقّبًا لابتسامة تضيء وجهه. لكن اللقمة الأولى تجمّدت في فمه، حيث تعالت الضحكات المزيّفة. جلست ريكا بهدوء غريب، وكأن الصرخات التي دوّت في الفندق قبل فترة لم تكن صادرة عنها أبدًا.

تناولت قطعة من الكعك ببطء. فجأة رفعت عينيها لتلتقي بنظرات تاكومي الثابتة. كان يجلس على مسافة، لكن عينيه لم تفارقا وجهها، متجاهلتين كل الضجيج والاحتفال الدائر حولهما.

كان تاكومي غارقًا في أفكاره، متسائلًا عن سر هذا الانجذاب الغامض نحوها. كيف يمكن لقلبه أن يميل إلى شخص ألحق به أذى كبيرًا؟ شخص وصفه عقله بمرارة بأنه "أكل صديقه"؟ ترددت كلماته الأخيرة في داخله: هذه الفتاة ستجلب لي الهلاك... فلماذا ما زلت أرغب في البقاء هنا؟

بعد مغادرة والد ماري، تنهدت ماري وبدا عليها الحزن، ثم التقطت قطعة من الكعك ورمتها على الأرض بغضب قبل أن تغادر غرفة الطعام. وقف الحاضرون في حيرة شديدة، وساد بينهم صمت بارد مفاجئ. استغرب تاكومي مما حدث، فقالت له ريكا بهدوء:

-عمي هيروشي دخل في حالة اكتئاب بعد وفاة زوجته...

خفض صوته وهمس بأسى: أعتقد أن هيروشي هو الشخص الوحيد الذي يبدو طبيعيًا...

في تلك اللحظة تحوّل تعبير ريكا فجأة. اقتربت منه ومدّت يدها ببطء لتمسك بطرف قميصه، وهمست ريكا في أذن تاكومي: كان يحب زوجته بجنون... وبعد وفاتها أمره جدي أن يأكلها.

تجمّدت تعابير تاكومي للحظة، ثم استعاد بسرعة قناع ابتسامته الباهتة. كانت الكلمة تدور في رأس تاكومي كقرص مضغوط: "أكلها... لا يمكن... لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا".

وسط تلك الفوضى التي بدأت لتوّها، غادر ريوتا وإينوي، وبدأت أكيمي في تحضير طعام العشاء ووضعه على الطاولة بمساعدة من زوجها السيد كوجي. جلس تاكومي شارد الذهن على كرسيه وملامحه جامدة، وهمست أكيمي لتاكومي: العشاء اليوم مميّز، السيد إيجي سوف ينضم إلينا الليلة على العشاء...

سرت قشعريرة مريبة على جسد تاكومي. كان أمامه صحن دافئ تنبعث منه رائحة لحم مطهوّ بتوابل، وضعته أكيمي للتوّ. بعد دقائق اجتمع أفراد العائلة من جديد، وجلس الجميع، لكن بعد لحظات دخل السيد إيجي فوقف الجميع تحية له، ثم وقف تاكومي دون أن يتحكم بجسده.

بعد لحظات صمت أذن السيد إيجي بأن يبدأ الجميع بتناول الطعام. مدّ تاكومي يده نحو السكين دون وعي وقبض عليها ثم تجمّد. كان ثمة شيء يتحرك على حافة قطعة اللحم: خيط أبيض رفيع ورطب، ينزلق فوق اللحم بانسياب. دودة بيضاء لا يزيد طولها عن إصبع خنصر. رمش بعينيه ببطء وشيء ما في صدره انكمش فجأة. وضع السكين على الطاولة بهدوء.

رفع رأسه ببطء ليواجه عيني ريكا الجالسة على الجهة المقابلة. كانت تبتسم ابتسامة ناعمة لكن عينيها هادئتين أكثر مما يجب. قالت له: ما بك؟

لم يجبها. لم يكن قادرًا على ذلك. عيناه التفتتا ببطء نحو كوجي. في طبقه كان المشهد أكثر قسوة؛ لم تكن دودة واحدة بل عدة ديدان بيضاء صغيرة تتلوى فوق اللحم، كأن الطبق ذاته حيّ. حاول أن يقول شيئًا، أن ينهض أو أن يتأكد، لكنه لم يتحرك. كل شيء استمر كما كان.

شعر تاكومي بشيء يتلوى في معدته، مزيج من الغثيان والرعب. هل هو مريض؟ هل يتخيل؟ كان كل شيء من حوله حقيقيًا حد الألم: الضوء الخافت، رائحة اللحم، الضحكات، والديدان. ثم سأل الجد: هل كل شيء على ما يُرام يا تاكومي؟

نظر إليه تاكومي ولم يجب. جلس في صمتٍ مقيّد، بين طعام لا يثق فيه وبين ضحكات غريبة. ثم أخذ نفسًا وعاد إلى طبقه ونظر مرة أخرى. لا ديدان. الطبق نظيف واللحم طازج ويبدو مثاليًا. كل شيء كما ينبغي أن يكون، كأن شيئًا لم يحدث، كأن كل ما رآه لم يكن إلا ومضة من وهمٍ لا تفسير له. ومع ذلك التزم الصمت وابتسم بخفة دون أن تصل ابتسامته لعينيه. ثم بهدوء مريب مدّ يده نحو السكين مجددًا.

انتهى العشاء واستلقى تاكومي على فراشه، وعقله يدور في حلقة مفرغة من الأفكار المتضاربة، حيث استحوذت كلمات ريكا المسمومة على أفكاره. تراقصت في ذهنه صورة ريكا اللطيفة، تلك التي تعامله بحنان حينما فكرت في مرضه واشترت من أجله بخاخ الربو، ثم إلى وجه آخر لريكا كان مظلمًا، كما لو أنها تخفي وحشًا. وفي محاولة يائسة للتشبّث بشيء إيجابي، لإنكار هذا الخوف، ابتسم ابتسامة باهتة في الظلام، وبنى في عقله قاعدة سخيفة:

"كل شخص يحب القطط هو بالطبع شخص طيّب القلب"...

في فجر اليوم التالي استيقظ تاكومي ليجد العالم قد ابتلعه بياض صامت. طبقة سميكة من الثلج كفّنت الشارع. لفّ تاكومي وشاحه الصوفي الرمادي حول عنقه ليحميه من البرد القارس، وغادر الفندق للذهاب إلى الجامعة.

حينما حلّ المساء بسرعة، كان تاكومي يتجول في ممرات الفندق العتيق بشرود، يُطارد أفكاره المبعثرة وظلال كوهاكو التي لا تغيب عن ذهنه. توقف أمام باب غرفة (01)، حين انفتح فجأة واندفع منه إينوي كعاصفة. اصطدم بتاكومي بقوة، ثم زمجر بنبرة مفعمة بالغضب: ابتعد من طريقي أيها الحقير...

واندفع مبتعدًا دون أن يلتفت. التفت ببطء نحو الغرفة، وقف تاكومي مذهولًا؛ كانت هناك نظرات السيد إيجي، تلك العينان الراصدتان المتغلغلتان في العتمة، التقتا بعينيه. شعر تاكومي

ببرودة كأن أنفاس الموت تهمس في أذنه. لم يكن ينظر إلى رجل عجوز... تراجع خطوة إلى الوراء. لكن صوت إيجي اخترق السكون بصوته: تعالَ... ادخل يا تاكومي.

تردد لحظة ثم دفع نفسه إلى الداخل. الغرفة كانت مظلمة رغم النور الذي يدخل عبر النافذة، رائحتها عبقة بشيء كريه. أشار الجد إلى كرسي خشبي أمامه فجلس تاكومي يتصبب عرقًا. صمت إيجي طويلًا ثم قال بصوت أجوف: قل لي... هل تحب ريكا؟ حقًا؟

لم تكن الكلمات مجرد سؤال؛ كانت أشبه بالتهديد، كأن الإجابة الخاطئة ستكلفه حياته. لم يكن يعرف الإجابة الصحيحة هو أيضًا لكنه قال: نعم...

- أتمنى أن تجد الراحة والمتعة في فندقنا المتواضع.

- شكرًا لك.

- كانت ريكا مترددة جدًا في إحضارك إلى هنا. أنا أفهم نواياها بمجرد النظر في عينيها... إنها نسخة من جدها.

قالها ثم ضحك ضحكة خفيفة.

- و... ما هي نواياها؟

قالها تاكومي مترددًا، ثم تغيّرت ملامح الجد إلى ملامح جامدة. بعد صمت ثقيل أشار لتاكومي أن يغادر. غادر تاكومي غرفة الجد وأغلق الباب دون أن يفكر في شيء سوى في كلمات السيد إيجي

الأخيرة. وقف أمام باب غرفته ورن هاتفه، تلقى اتصالات ورسائل من المحقق المسؤول عن قضية كوهاكو لكنه لم يرد عليها، وجلس مغلقًا على نفسه في غرفته.

بعد ساعات، حين خيّم الليل بثقله على الفندق، لم يستطع تاكومي النوم كعادته. خرج من غرفته إلى غرفة الطعام، ومن بين ظلمات الليل سمع أصوات ارتطام. دخل تاكومي الخزانة وأغلق بابها بسرعة، وسمع أصوات أخرى بشعة تتخلل المكان.

بدأت بصوت حادّ لسكين تقطع عنقًا، يتبعه تدفق غزير للدماء على الأرض. كان هناك صوت ارتطام مكتوم يتبعه سيل من الكلمات المتهدجة غير المفهومة، ثم صرخة أخرى تخترق العظام.

استنشق تاكومي عبير الدماء القوي الذي ملأ الأجواء. ومن خلال شقوق الخزانة الضيقة، لمحت عيناه ظلالًا راقصة في زوايا الغرفة، وشاهد بقعًا قانية من الدم الداكن تلطخ بياض الأرضية.

كان جسده يرتجف ويداه على فمه وأنفاسه مقطوعة، كأن كل صوت يمكن أن يصدره يساوي فنائه. ومن بين شق الخزانة شاهد المحقق ممددًا على طاولة الطعام، صدره يرتفع ويهبط ببطء.

ثم دخل كوجي غرفة الطعام هادئًا ببدلة نظيفة كمَن جاء لحفل عشاء. اقترب من الجسد الممدود على طاولة الطعام، جثا بجانبه ثم أخرج سكينًا طويلًا من حقيبة جلدية سوداء. نظر إلى وجه المحقق وربّت على خده بلطف مقيت: أتعرف؟ في البدء كنت أظنهم مجانين.

سحب السكين ببطء عبر بطن الرجل الذي شهق من الألم واستمر في حديثه: لكن هناك لحظة... عندما تتذوقه لأول مرة، تشعر بشيء ما ينكسر بداخلك... ليس فقط حاجزًا أخلاقيًا... بل تتحرر من حدود الجسد نفسه.

صمت قليلًا. تنفّس بعمق تلك الرائحة فبدا متأملًا وليس قاتلًا. كان تاكومي يحبس أنفاسه لا يصدق أذنيه. ثم بدأ كوجي في التهام قطعة صغيرة من اللحم وهو يغلق عينيه. كان قلب تاكومي ينهار... ليس فقط من الرعب، بل من فهم الفكرة أن الشر لم يعد مجرد "شر"، بل صار فكرة يمكن أن تدخل إلى عقول المختلين مثل منطق خالص.

حلّ صمت عجيب فجأة، وبعد هذا الصمت حلّ مكانه ضجيج آخر أقلّ حدّة، كان صوت تحريك كراسي وأطباق الطعام، يوحي ببدء تناول الطعام.

شعر تاكومي بصدمة شديدة لدرجة أنّه تحرّك وأصدر صوتًا. في تلك اللحظة، تحرّكت ريكا بخطوات حذرة نحو الخزانة المظلمة

وفتحتها ببطء. فجأة، تلقّت طعنة بمنشار صغير من تاكومي في فخذها. رغم الألم، ابتسمت ريكا وحملت صينية من داخل الخزانة ثم أغلقتها ووضعت في الصينية قطعة من اللحم وقالت بهدوء: هذه حصتي. خذوا كلّ الباقي إلى المطبخ فورًا، وأنا سأتولّى تنظيف المكان.

غادر الجميع مستغربين، في العادة أفضل جزء عند ريكا هو تقطيع الأطراف وأخذ قطعة من الفخذ لكن لم تأكل منه. غادروا إلى المطبخ وأخرجت ريكا تاكومي من الخزانة وأغلقت فمه وهمست: اذهب إلى غرفتك الآن، المكان فارغ.

ثم غادرت تجرّ خطواتها الثقيلة، وبقي تاكومي مصدومًا من كمية الدماء على الأرض وطاولة الطعام. لمح مسدسًا تحت الطاولة اعتقد أنّه للمحقّق، رغم أنّه كان مغطّى بالدماء إلا أنّه أخذه بسرعة ووضعه في جيبه. رأته ماري خارجًا من غرفة الطعام فقالت بعد أن نظرت إلى الدماء في غرفة الطعام: أخبرتك أن تغادر المكان.

أسرع تاكومي إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، رمى المسدس على الطاولة مرتجفًا ثم هوى على سريره كجثّة هامدة، وقلبه ينتفض في صدره. دقّات خافتة بدأت تتسلّل من خلف الباب، بطيئة وثقيلة، تجاهلها تاكومي متجمّدًا في مكانه، رعبًا من المجهول الذي يتربّص به.

بعد لحظات، تحوّلت الدقّات إلى ضربات عنيفة تهزّ الباب بعنف، وبرز صوت ريكا من خلف الباب مُلحًّا: افتح الباب!...

اتّسعت عيناه وهو يتذكّر الطعنة التي طعنها لريكا، والألم الذي رآه في عينيها. تردّد للحظة، ثم استسلم وفتح الباب ببطء. دخلت ريكا الغرفة، تخطو خطوات متعثّرة وثقيلة، تحمل حقيبة إسعافات أوليّة. تحرّك تاكومي من تلقاء نفسه ليمدّ يده لمساعدتها، لكنها صدّته بنظرة حادّة وأبعدته عنها.

تقدّمت ببطء وثقل نحو منتصف الغرفة، بينما أغلق تاكومي الباب خلفها. عندها، وبحركة سريعة نزعت ريكا المنشار الصغير المغروس في فخذها. تدفّق الدم بغزارة أسودًا لزجًا ليغرق ثوبها ويسيل على الأرض.

اقتربت منه بخطوات متثاقلة وجرحها ينزف، تحاصره في الزاوية بين الحائط، ورفعت المنشار الملطّخ بالدماء ببطء، موجّهة نصله الحادّ الصغير نحو عنقه، وهمست بصوت أجش يكاد لا يُسمع: هل تريد قتلي؟

جفّ حلق تاكومي وابتلع ريقه بصعوبة، عاجزًا عن صياغة سيل المشاعر المتضاربة التي تملّكته بعد أن شاهد وجه ريكا عن قرب. فجأة، ودون وعي منه تمتم بصوت خافت مرتعش: اقتليني... لا أمانع الموت على يدكِ...

قهقهت ريكا ببرود واستهزاء، قائلة بنبرة حادّة: تبدو قويًا بعد كلامك هذا لكنّك ترتجف، أنا لا أمازحك.

لامس رأس المنشار الحادّ عنق تاكومي، وشعر ببرودة المعدن تخترق جلده. تدفّق الدم دافئًا ليزحف على رقبته. استسلم تاكومي وأغمض عينيه مستعدًا للفناء. لكنه فوجئ بتوقّف الضغط، ثم سمع صوت ارتطام المعدن بالأرض. فتح عينيه ببطء ليجد ريكا قد رمت المنشار بعيدًا، وجلست على حافة السرير، وبدأت بلامبالاة تسكب المعقّم على جرحها وتضمده.

بعد أن انتهت ريكا من لفّ الجرح على فخذها المرتجفة، وقفت بصعوبة، تتنفّس بثقل واقتربت من تاكومي الذي كان يحدّق بالأرض، وعيناه تضجان بالأسئلة. قالت بصوت خافت: ارحل، تاكومي... لا تزال أمامك فرصة للنجاة. في الحقيقة إنّ هذه العائلة منتهية من الأساس..

- ماذا تقصدين؟

- لم يكن يجب عليهم تناول المحقّق، لقد وصلوا إلى الحدّ الأقصى من اللحم المسموح لهم في هذا الشهر، لم أعد أستطيع التحكّم بهم..

رفع عينيه نحوها والشكّ ينهش روحه. لم يكن ساذجًا بل كان غارقًا في صراع بين العقل والقلب، بين الأدلة التي رآها وبين ما

يراه الآن في عينيها... قال بهدوء يشوبه الأسى: أخبريني فقط... هل أنتم حقًا... تأكلون البشر؟ وماذا حدث لكوهاكو؟

حدّقت فيه مطوّلًا، قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة مليئة بالسخرية والخذلان: لازلت تذكر كوهاكو؟

ثم همست، كأنها تكلّم نفسها: يا له من كلب وفيّ...

سارت ببطء نحو الباب، قبل أن تتوقف عند العتبة، دون أن تلتفت نحوه، وقالت: لو كنت تعرف كم حاولت أن أكرهك... كم حاولت أن لا...

قطعت جملتها، كأن البوح بها أخطر من كلّ الجرائم. ثم غادرت وتركته واقفًا يحدّق في أثرها. لم يكن بحاجة إلى تفسير. كان يعرف... لكن الإجابة كانت تقتله ببطء.

غادر تاكومي الفندق في صباح اليوم التالي حاملًا حقيبته، وما إن فتح الباب حتى وجد ماري واقفة هناك، تنظر إليه بعيون خالية من الحياة. قالت بصوت هادئ: إذًا، قرّرت الهرب؟

ردّ دون أن ينظر إليها: أليس هذا ما كنتِ تريدينه؟

تقدّمت خطوة، وصوتها اهتزّ بشيء يشبه الرجاء: وماذا عن مشاعرك الحقيقية؟ أما زلت تجهلها؟

كاد يجيب لكنه صمت. تجاهل كلماتها رغم أنّ جزءًا منه كان يصرخ ليتوقف، لينظر إليها ليقول شيئًا... أيّ شيء. لكن كلّ ما

فعله هو أن أدار وجهه ومضى. وماري رغم صغر سنّها، قرأت في عينيه ذلك الحنين الخفي، ذلك التوق.

كانت الشمس تميل نحو المغيب، والظلّ يزحف بهدوء على أطراف الشجرة، مثل ذاكرة قديمة تنهض من نومها. جلست ريكا على المقعد المعدني تحت شجرة وسط الجامعة، عيناها تحدّقان في بركة الماء الراكدة أمامها التي خلفها الثلج..

بينما كان تاكومي ينظر إليها من بعيد وهي شاردة الذهن، فاقترب ببطء شديد وجلس بجوارها، يحتضن علبة الشاي الأسود الباردة. همس تاكومي وهو ينظر إلى الأفق: الجو هنا غريب... كأنه يعرف أننا نتهرّب من الفندق.

لم ترد. كانت شفتاها متيبّستين ونظراتها غارقة في شيء بعيد جدًا عنه. كان ذهنها قد بدأ ينسحب من الواقع. كانت البركة تتحوّل إلى حوض استحمام. رائحة الصابون والبخار وابتسامة امرأة تلوّح من الشرفة المقابلة... تلك الأم. الودّ الذي كان يتسلّل في البداية إلى قلب ريكا، حتى شعرت به حيًّا، دافئًا، يشبه شيئًا لم تعرفه منذ سنوات. ساعدتها وضحكت معها، مشت بجانبها في أزقّة المدينة الكئيبة. لكن كلّ شيء تغيّر بنظرة. نظرة واحدة فقط، مرتابة... كانت أشبه بنظرة والدة ريكا.

ارتجفت يد ريكا فجأة. كانت الأصابع متشنّجة فوق ركبتيها. لاحظ تاكومي ذلك، وهمس: ريكا... هل أنتِ بخير؟

لم ترد. عيناها كانتا مركّزتين في البركة، كأنها ترى جسدًا في قاعها، وتتخيّل شرارة كهربائية تلمع للحظة، ثم تختفي. تذكّرت الطفلتين، وصوت ماي الذي قال لها: "إنها تستحم، آنسة ريكا".

تذكّرت كيف التقطت مجفّف الشعر، وكيف مشت كما تمشي في حلم. وكيف لم تكن هناك مقاومة. ثم همست دون أن تنظر إليه: بعض النظرات... تقتل أكثر من السكاكين.

نظر إليها تاكومي بدهشة، فابتسمت وقالت: فقط تذكار قديم... لا تقلق.

لكنه رآها، رأى رعشة خافتة في جفنها، وارتعاشة طفيفة في زاوية شفتيها. شيء فيها لم يكن على ما يرام.

في تلك الليلة في غرفة الطعام، كان جهاز الفونوغراف العتيق موضوعًا فوق طاولة خشبية صغيرة عند طرف الغرفة، تمامًا بجانب شمعة طويلة نحيلة. كان هيكل الجهاز أسود قاتم، وذراعه المعدنية الرفيعة تمتدّ ببطء فوق الأسطوانة الدوّارة..

كانت الطاولة طويلة مغطّاة بمفرش أحمر يشبه الدم الجاف هذه المرّة، والهواء مالحًا برائحة لحم مشوي. دخل السيّد إيجي وألقى بنظره ليجد تاكومي وريكا جالسين حسب طلبه.. اتجه بخطوات ثقيلة إلى جهاز الفونوغراف العتيق وقام بتشغيله..

تتسلّل من قلبه أنغام خشنة، مشوّشة بعض الشيء، تخرج من بوقٍ نحاسيّ عريض يشبه زهرة ذابلة. كانت الموسيقى قديمة الطراز، تحمل نبرة كئيبة وتتردّد في جنبات الغرفة الواسعة.

جلس السيّد إيجي في رأس الطاولة وجسده ضعيف، لكن عينيه كانتا تشعّان. وريكا جلست عن يمينه، تتأمّل طبقها دون أن تلمسه، وتداعب طرف السكين بأطراف أصابعها...

تاكومي جلس عن يسار إيجي يده على الطاولة بدت مرتجفة، وعيناه تنتقلان بين الجدّ وريكا. ثم تمتم الجدّ قائلًا بصوته الأجش: هل تعرف يا تاكومي... ما الذي يجعل اللحم لذيذًا؟

نظر بعين مريبة ثم قال بهدوء: الخوف... أليس كذلك؟

ضحك الجدّ بصوت مكتوم، ثم تناول قطعة من اللحم ووضعها في فمه: ذكي كما توقّعت. الطعم الحقيقي لا يأتي من التوابل، بل من الذعر الذي يتخلّل الأنسجة.

ريكا أمالت رأسها قليلًا، وقالت بصوت منخفض كأنها تتحدّث إلى أحدٍ في داخلها: وهل ذقت طعم خوفي يا جدي؟

توقّفت الشوكات. فنظر إليها الجدّ ببطء ثم ابتسم. كانت ابتسامته ناعمة على نحو مريب: أنتِ... لحم آخر يا ريكا. أنتِ الطبق الذي ظلّ في الفرن طويلًا...

أخفضت ريكا عينيها وبدت كأنها تتكمّش، لاحظ تاكومي تصرّفها ثم أمسك بكأس الماء، لكن يده كانت ترتجف قليلًا: لِمَ دعوتني إلى هذا العشاء، سيّد إيجي؟ لأستمع إلى دروس فلسفية في القتل؟

الجدّ أمال جسده نحوه، وقال بنبرة هادئة: دعوتك لأنني أرى فيك مرآتي القديمة. وأعتقد أنّه حان وقت أن تنضمّ إلينا رسميًا وتأكل اللحم معنا..

اتّسعت عينا ريكا ووقفت من مكانها مصدومة تنظر إلى جدّها. ثم ضحك قليلًا وهو ينظر إلى ارتجاف يد تاكومي وأضاف: تظنّ أنك تستطيع إنقاذها. وأنا، كنت أظنّ أنّني أستطيع إنقاذ نفسي بها..

أرادت ريكا أن تقول شيئًا... لكنها اكتفت بالنظر إلى تاكومي. كانت نظرتها مشقوقة؛ عين تهمس خذني، وعين تقول لا تقترب أكثر. ثم قالت أخيرًا: أنا لا أعرف إن كنت أحبّك... أم أريد أن أراك تذوق خوفي.

رفع تاكومي عينيه نحوها، وصوته كان جافًا، كأنه جملة حُفرت في جدار: أنا أعرف لماذا.. أبقى هنا رغم ذلك.

-7-

حين حلمنا بالفرار

في اليوم التالي، مشى تاكومي إلى غرفته في ظلمة الليل الخانقة، وكل خطوة يخطوها كانت ثقيلة، وصوت الباب وهو يُغلق خلفه كان مكتومًا. لكن الهدوء لم يدم طويلًا، فقد اخترقه طرق عنيف على الباب، دقات متسارعة وثقيلة كنبض قلب مذعور.

فتح تاكومي الباب ببطء، وقلبه يدق كما لو كان يحاول الفرار من صدره. ما إن انفتح الباب حتى ظهر هيروشي واقفًا أمامه... لكن هذا لم يكن هيروشي الذي عرفه. كانت بشرته متوهجة بلون أحمر ناري، تشعّ حرارة مقززة ضربت أنفه بقوة، عيناه كانتا متسعتين بالسواد، وأنياب بارزة تنقط بسائل لزج من بين شفتيه.

قبل أن يتمكن تاكومي من النطق، انقضّ هيروشي عليه كوحش جائع وثبّته على الأرض بكلتا يديه، مصحوبًا بزمجرة حيوانية، فمه مفتوح في شهية مسعورة. تمتم بكلمات مشوّهة: أنت... لم تتذوق اللحم... مثلنا... لا بد أنك... لذيذ...

تراجع تاكومي دافعًا جسد هيروشي الصلب بضربة من قدمه بكل ما أوتي من قوة، ولكمه في وجهه لكن قبضته ارتطمت ببشرته الصلبة كصخرة بالكاد أحدثت فرقًا. فجأة، دوّى صوت شهقة حادة خلفه. التفت هيروشي بسرعة ليجد ريكا واقفة عند عتبة الباب، عيناها متسعتان من الصدمة، ويدها تقبض بقوة على عصا بيسبول مغروسة بالمسامير ومحاطة بأسلاك شائكة.

تقدمت نحوه كالعاصفة، تصرخ بصوت ممزوج بالغضب، وهاجمته من الخلف دون تردد. ارتفعت العصا ثم هوت بكل قوتها، واخترقت المسامير جمجمته. ترنّح هيروشي مبتعدًا ودم أسود كثيف يتساقط من رأسه يلطخ الأرض.

في غمرة الفوضى، وقعت عينا تاكومي على المسدس الملقى فوق الطاولة. مدّ يده المرتجفة نحوه، قبض عليه بقوة، وصوّبه نحو هيروشي... أصبعه يضغط الزناد في ارتجافة هستيرية.

انفجار مدوٍّ. ارتجّت الغرفة بصوت الرصاصة، ارتدّ جسد هيروشي بعنف، قبل أن يسقط على الأرض بلا حراك، ودماء داكنة تتفجّر من صدره.

وقف تاكومي يحدّق في الجثة، عيناه خاليتان من أي تعبير، كأن روحه تبخّرت مع الرصاصة. همس بصوت خافت بالكاد يُسمع: هل... هل هذه نتيجة الإكثار من أكل اللحم البشري؟

ردّت ريكا بصوت منخفض، وكأنها تخاطب نفسها: لقد حذّرتهم... طلبت منهم اتباع القواعد... الآن... الفوضى خرجت عن السيطرة. هناك أشياء يجب أن أُنهيها...

تقدّمت نحو الباب، لكن صوت تاكومي أوقفها: لن أدعك تذهبي وحدك... سأتي معك.

نظرت إليه، ولحظة صمت ثقيلة انعقدت بين عينيهما. قال تاكومي بصوت خافت مبحوح وامتلأت رئتاه برائحة الموت: سأكون معك...

تعلّقت نظراتها به لثوانٍ، ثم استسلمت لصوته. وفي السكون المطلق للفندق، تجولت ريكا برفقته عبر الممرات المعتمة، دون أن يصادفا أي أحد. أسرعت إلى غرفة جدها، فوجدته نائمًا بطمأنينة

مربكة. عندها فقط تذكّرت أن اليوم عطلة، وأن الموظفين خرجوا جميعًا للتسوّق بعد قبض رواتبهم.

عادت إلى غرفة تاكومي، وبدأت بمسح آثار الدماء بصمتٍ آليّ. ثم حملت الجثة وحدها نحو القبو دون أن تنطق بكلمة. اقترب منها تاكومي، مدّ يده ليساعدها ليخفف عنها هذا العبء القاتل، لكنها صدّته بعنف، وأبعدته كأن وجوده في تلك اللحظة يُهدد ما تبقّى من تماسكها. ثم همست بصوتٍ تنزف فيه مشاعر متضاربة من الخجل والانكسار: اتركني وحدي... لا أريدك أن تراني هكذا.

في ساعات الفجر الأولى، كان المطبخ باردًا على غير العادة، ومصباح خافت ينيره... وتفوح منه رائحة لحمٍ مطهو منذ الليلة السابقة تختلط برائحة الألوان المائية التي انتشرت على الطاولة، حيث جلست ماري على الكرسي العالي، قدماها مرفوعتان عن الأرض، تتأرجح وهي ترسم.

على الورقة أمامها كان هناك كلب صغير مغطى بالسواد بالكامل، بعينين بلا لون. ما إن أنهت الرسم، وضعت الفرشاة جانبًا وأسندت خدها إلى يدها، تحدق في الكلب المصبوغ. همست: أتعلم شيئًا يا ريكو؟ أنت تشبهه يا تاكومي كثيرًا.

ضحكت بخفة: أحيانًا أراه يمشي خلف ريكا مثل كلب. لا ينبح، لا يعض، فقط... يتبعها. لكنه ليس أليفًا تمامًا، أليس كذلك؟... أنا أظن أنه ينتظر اللحظة المناسبة لكي يهرب.

سكتت لحظة، ثم أضافت كلمات كأنها تتعجب من تصرفات تاكومي الغريبة: لكنّه لم يهرب.

أخذت قلمًا أحمر ومرّرت خطًا صغيرًا أسفل قدم الكلب: أعتقد أن ريكا تحبّه لكن على طريقتها. تنتظر أن يموت جوعًا فتمسح على رأسه وتقبله...

عمّ الصمت قليلًا... لحظات ثقيلة ثم همست: إذا بقي معها، سيتحوّل... أنا أعرف هذا... ربما يصبح ذئبًا...

دخل إينوي وقد كان يحمل الكاميرا في عنقه كعادته، توجّه للثلاجة وفتحها، نظر طويلاً... ثم أغلقها واستدار. في تلك اللحظة، نزلت ماري من الكرسي، فتحت عينيها كأنها كانت نائمة. ثم قالت بصوت خافت كأنها تخبره بسر: هل تعرف يا إينوي؟ أن تاكومي... سيأكل لحمًا مثلنا في يوم ما لأنه يحبها كثيرًا.

اتسعت عينا إينوي. تراجع نصف خطوة وتمتم لنفسه: مستحيل... لن أسمح بهذا.

لكنها ابتسمت واقتربت منه ببطء، ثم همست: لن تستطيع فعل شيء...

لم تكمل جملتها وغادرت المطبخ، وبقي إينوي وحده ينظر إلى طاولة المطبخ، حيث الورقة بقيت مفتوحة... والكلب الأسود ظل يحدّق في الفراغ.

بعد تلك الليلة الطويلة، وتاكومي يشاهد القتال الذي حدث في غرفته داخل عقله مرارًا وتكرارًا، دقائق طويلة مرّت كأنها دهر... دخل نور الشمس إلى غرفته أخيرًا، لكن في نفس الوقت طرق الباب... وظل تاكومي واقفًا خلف الباب المغلق، أنفاسه متسارعة.

كانت طرقات خفيفة في البداية، ثم ازدادت حدّة وإصرارًا مع مرور الوقت، كأن شيئًا أو شخصًا مصمم على اقتحام الغرفة.

تردد في فتح الباب، شعور غامض ينذره بالخطر يجعله متسمّرًا في مكانه. ربما هم... ربما عادوا... أمسك المسدس بين يديه المرتجفة...

أخيرًا قرر تاكومي، بقلب يخفق بعنف، ألا يفتح الباب. الصمت المفاجئ الذي أعقب قراره كان أشد رعبًا من الطرق نفسه. لكن هذا الهدوء لم يدم طويلًا؛ فجأة دوّى صوت ارتطام عنيف، اهتز الباب الخشبي بقوة، تبعه صوت تكسّر الأخشاب.

انصدم تاكومي، عيناه تتسعان رعبًا وهو يرى شقًا يظهر في الباب، ومع كل ضربة فأس وحشية. قطعة تلو الأخرى من الخشب تتطاير، حتى انهار جزء كبير من الباب، وكشف عن ريكا.

كانت تقف في الخارج بهدوء غريب، تحمل الفأس على كتفها. قالت بصوت هادئ يكاد يكون هامسًا: خفت أن يفعلوا شيئًا... لأنك لم تفتح الباب فورًا.

كلماتها اللامبالية كانت أشد رعبًا من فعلتها العنيفة. جَرّته من يده خارج الفندق بسرعةٍ تشي بهروب لا يُقال، وكأن أشباح المكان طاردتهما حتى في الهواء الطلق. مشت بخطوات حادة وثابتة، وهو يتبعها مترددًا، يده في يدها.

وصلا إلى رصيفٍ صدئ يطل على مياه راكدة مظلمة بعيدًا عن الفندق. خيّم الصمت بينهما، لم يكسره سوى خرير الماء ونعيق غرابٍ بعيد. أخيرًا، همست ريكا: لقد تعبت... تعبت من حملي لهذا العبء الثقيل... منذ أن رحل والدي وتركانِي وحدي... وأنا أحاول السيطرة على هذا الفندق... وعلى هذه العائلة المجنونة...

وكلماتها الأخيرة اهتزت وكأنها على وشك الانهيار. نظرت إلى تاكومي بعينين دامعتين وهي تجلس على الرصيف وتنظر إلى انعكاس وجهها الذي بدا متعبًا على سطح مياه البركة، عيناها كانتا تحملان قصة طويلة من الخوف والوحدة القاتلة. ثم سألها بنبرة حانية تخفي قلقه: هل جرحك بخير؟ هل يؤلمك؟

هل كان يقصد بسؤاله عن جرحها الداخلي أم جرح فخذها الذي تسبّب به... نظرت إليه، ثم فاجأته بسؤال لم يخطر بباله قط: لماذا لا نتزوج يا تاكومي؟

ضحك بخفة، محاولًا إخفاء ارتباكه ودهشته: ريكا، أنتِ مجنونة!

لكن ضحكته سرعان ما تلاشت عندما رأى الحزن الذي يملأ عينيها. قالت بصوت خافت: أنا لا أمزح... ألا يمكنك أن تساعدني في الخروج من هذا؟

ثم أضافت بحنين مرير: أخبرني جدي ذات مرة... أننا بشر، لكننا لسنا كذلك تمامًا. لدى عائلة ساغارا شراهة غريبة لتناول لحوم البشر... إنها لعنة ورثناها من قرية "ناكامي". أحيانًا أفكر... هل يمكن أن تتفكك هذه اللعنة بقبلة من فارس الأحلام؟

عمّ الصمت بينهما للحظات طويلة. وبعد فترة، نهض تاكومي بهدوء وتوجّه بخطوات ثقيلة إلى الصيدلية القريبة. اشترى بعض الأدوية وعاد إلى مكان ريكا، حيث كانت ريكا تجلس، تبدو شاردة الذهن.

بخطوات هادئة اقترب تاكومي منها وجلس إلى جوارها. ناولها زجاجة الدواء، كأن لمسته تخشى كسر شيء هشٍّ بداخلها...

قالت بصوت خافت، كأنها تحاول أن تبرّر شيئًا لا يمكن تبريره: كنت أحاول أن أُثبت أنني شخص جيد... ربما.

ثم استسلمت لذاكرتها، وغرقت في بئر من الصور القديمة: حين كنت صغيرة، سألتني زميلة في المدرسة الابتدائية ذات يوم: "ماذا أكلتِ في الغداء؟" أجبتها ببراءة قاتلة: "لحم بشري... وكان حلو الطعم".

تجمّدت الطفلة. نظرت إليّ بنظرة لم أرَ مثلها من قبل، مزيج من الذعر والاشمئزاز. ومنذ تلك اللحظة... لم يكلّمني أحد.

بعدها، بدأت أسمع الشائعات، عن الفندق وعن اختفاء الغرباء، عن الشرطة والتحقيقات. لكنني لم أهتم. كنت أجد عزائي في رفيقتي الصغيرة، يونا... قطة سوداء جميلة خبأتها سرًا خلف المدرسة. كنت أضمها إلى صدري وأحدّثها بصوت هامس، وهي تلعق يدي كأنها تهمس لي: لا بأس... أنا هنا.

وفي الخامس من سبتمبر... حين كنت مجرد طفلة... فهمت الحقيقة المرعبة: أن تأخذ حياة كائن حي... ليس أمرًا طبيعيًا، بل هو رعب خالص. منذ ذلك اليوم، لم أعد أنام. الأرق، الهالات الداكنة تحت عيني، ذلك الوجه الذي يذبل أكثر كل صباح... صار كل شيء جزءًا مني.

ثبّت تاكومي عينيه في عينيها، لحظة صمت طويلة جمعت بينهما، قبل أن يكسرها صوته بكلمات كانت محبوسة في صدره، يخفيها حتى عن نفسه: أنا أحبك... وسأبقى معك حتى آخر لحظة.

قالها ببساطة، لكنها كانت ثقيلة مشبعة بكل ما لم يُقل. حينها فقط ابتسمت ريكا ابتسامة خافتة، وشعرت بشيء دافئ يتسلل إلى صدرها للمرة الأولى منذ زمن... فكرة واحدة أضاءت داخلها كشمعة: كم هو جميل أن تتبع النور... وتخرج من هذا الظلام.

حينما حلّ الليل، كان الهدوء الذي يلفّ الفندق لا يُشبه السكينة الطبيعية، كأن الجدران تخفي أنفاسًا مكبوتة.

تاكومي تسلّل إلى غرفة الاستقبال في ساعة متأخرة من الليل، تتبعه ظلال متراقصة على الجدران تتحرّك بتثاقل كأنها تطارده. خطواته كانت واهنة، بالكاد يسمع صوتها، لكنه يشعر بها ترنّ في صدره.

كان تاكومي يعلم أن إينوي يختفي دومًا في مثل هذه الساعة ليغيب عن الأنظار، وعلى مكتبه استقر حاسوب محمول مفتوح ينبعث منه وهج خافت كأنّه يهمس إليه بالدخول.

جلس تاكومي أمامه، قبض على الفأرة بيده، أضاءت الشاشة لتكشف عن سطح مكتب شبه خالٍ سوى من مجلدات كثيرة منظّمة بعناية تبعث القلق. ثم لمح اتصال الجهاز بالإنترنت، فدخل على محرك البحث، فوجد ما بدا كصرخة مكتومة من العالم السفلي: "مقهى اللحم."

الاسم وحده كان كافيًا لشدّ أنفاسه. نظرة واحدة كافية لتدرك أن هذا المكان الافتراضي لا ينتمي إلى الإنترنت العادي، بل إلى عالم خلف ستار. فتح الموقع وظهر بتصميم بدائي، الخلفية سوداء، الكلمات حمراء كأنها كُتبت بالدم. التبويبات كانت فاضحة في غرابتها.

ثم نقر على "غرفة العرض الخاصة."

ظهرت نافذة تُطالبه برمز دخول. همس لنفسه: كيف يمكنني الدخول الآن؟ ما هذا بالضبط؟

لكن الرمز لم يتأخر. لم يكتبه أحد، فقط... ظهر. وكأن الموقع يعرف مَن هو، وكأن هناك مَن ينتظر دخوله. فتح التبويب نافذة فيديو صغيرة ظهرت. العنوان جعل الدم يتجمّد في عروقه: كوهاكو...؟

يده تحركت من تلقاء نفسها، نقر على الشاشة، وبدأ الفيديو. انبثق ضوء خافت اجتاح الشاشة ليكشف عن غرفة مظلمة بلا نوافذ، أضاءها ضوء مصباح خافت.

كوهاكو كان هناك... ممدّدًا على طاولة معدنية، جسده ساكن، نصفه مغطى بضمادات دامية، ووجهه... كان مشوّهًا إلى حد لا يُحتمل. الجلد ممزّق بعناية مرعبة. لكن الأسوأ لم يكن في التشويه...

بل في أن عينيه كانتا مفتوحتين، وهو يحاول التنفس والكلام. صوته بالكاد يُسمع، أنين متقطّع كأن روحه تُذبح على مراحل.

ثم... صوت هادئ بشكل شنيع، خرج من خارج الكاميرا: لا يزال دافئًا... وطعمه، كما توقعت، حلو. إنه اللحم الطازج... إنه طعم الخوف...

ثم فجأة، سكين وهج لمّاع، ملتصق برقبة تاكومي. شهق بعنف، ثم دفع إينوي كرسيه للخلف ليسقط تاكومي أرضًا، وعيناه لا تزالان عالقتين في الشاشة التي تحوّلت إلى سواد مفاجئ، كما لو أن كل شيء لم يكن أكثر من كابوس.

من جانب المكتب، في تلك العتمة الساكنة، ظهر إينوي. لم يتحرّك من مكانه، فقط وقف هناك. رفع تاكومي رأسه ببطء. ارتعدت أطرافه، وعيناه متسعتان كطفلٍ رأى كابوسه يتحقق. تقدّم إينوي خطوة، ثم همس بنبرة هادئة: لم يكن يفترض بك أن ترى هذا.

تاكومي شهق، وصوته خرج مرتجفًا: كوهاكو... أين؟

ابتسم إينوي بهدوء، لكن ابتسامته كأنها ترتدي قناعًا من اللطف يخفي تحته جحيمًا كاملًا: لكن لا بأس... لن تستطيع فعل شيء، ليس وأنت... تحب ريكا.

سكت لحظة ثم أضاف: وأنا... أعرف كم ستكره أن تراها خلف القضبان.

تجمّدت ملامح تاكومي، وشهقته اختنقت في حلقه. كل شيء بدا وكأنه يتهاوى من حوله. غادر إينوي مع ابتسامة جانبية وملامح ساخرة من تاكومي... لكن تاكومي بقي جالسًا على الأرض يحاول تصديق ما شاهده للتو.

في تلك الأثناء كانت ريكا تسحب قدميها بغضب محموم نحو ملاذها الخاص، غرفتها. اعترض طريقها صمت مطبق قادم من غرفة جدها. كان الباب مفتوحًا، وقلبها الذي كان يخفق بعنف للتو من وطأة الغضب بدأ يدقّ ببطء وثقل غريب. دفعت الباب بخفة.

كان جدّها راقدًا على فراشه، هادئًا على نحوٍ يُرعب، وعيناه اللتان طالما أشرقتا بوهجٍ غريب انطفأتا إلى الأبد. تجمّد الغضب في حلق ريكا وتحوّل إلى مرارة دامعة، لا شكل لها سوى الحزن.

مرّت جنازته كأنها حلم باهت، مغلّفٌ بضباب صامت والنظرات المتحجّرة. لم تنطق ريكا بحرف. لم تبكِ أمام أحد. كانت واقفة بين الناس بجسدها فقط، أما روحها فكانت معلّقة بين صوتين: صوت الفقد، الذي يشدّها نحو الحزن، وصوت غامض يشبه الارتياح...

كانت تكرهه... أو هكذا أخبرت نفسها. لكن قلبها لم يكن يومًا واضحًا تجاهه. لقد ربّاها وآذاها أيضًا. وفي لحظاتٍ نادرة أحبّها بطريقته الخاصة.

في اليوم التالي، دخلت غرفته كأنها تدخل قبرًا لم يُغلق تمامًا. جلست على حافة سريره، تتلمّس أطراف الوسادة، تبحث في الهواء عن بقايا عطره، عن أثرٍ ما يثبت أنه كان هنا فعلًا.

تذكّرت يده حين حملها وهي صغيرة، وتذكّرت يده ذاتها حين صفعتها يوم رفضت أن تقطع اللحم بالسكين... وفي لحظة ثقيلة، دخل تاكومي. توقّف عند الباب، نظر إليها، ثم قال بصوتٍ مكسور: ألا تريدين معرفة الحقيقة؟ ريكا... هل ستبقين عالقة هكذا؟

كلماته لم تكن عالية، لكنها اخترقت داخلها. لم تُجبه. قامت فجأة من مكانها، كأن شيئًا استيقظ فيها. بدأت تقلب الأدراج وتبحث بجنون، بأنفاسٍ متسارعة ويدين مرتجفتين. لم تكن تعرف ما الذي تبحث عنه، لكنها شعرت أن الحقيقة هنا في هذه الغرفة، بين هذا الغبار.

ثم وجدت الصندوق الأسود الكبير. كان مخبّأً تحت السرير، مغطّى بطبقة من الغبار. سحبته ببطء، وكأنها تسحب معها أثقل ما في ذاكرتها. فتحته ببطء، وفي داخله كانت هناك مذكرة صغيرة. جلدها مشقّق، وأوراقها مصفرّة وهشّة، لكنها لا تزال تنبض بسرّ ما.

أمسكتها كما لو أنها تحمل رماد الحقيقة. جلست على الأرض قرب السرير دون أن تنظر إلى تاكومي. ثم همست بصوت مرتجف بالكاد يُسمع:

- هذا... آخر ما كتبه. قبل أن يختفي... من هذا العالم...

وبدأت تقرأ. كانت الكلمات ثقيلة، كل سطرٍ كان صفعة.

-8-

ملك ناكامي

في أعماق عالمٍ موحش، وسط غابات كثيفة وجبال شاهقة يلفّها الضباب، تقع قرية ناكامي المعزولة والمريبة. الوصول إليها صعب، كان عبر طرق متعرجة وجسور خشبية متهالكة، وكأنها تحرس سرًّا غامضًا.

عند دخول القرية يسود صمت ثقيل وهدوء غير طبيعي من تلك البيوت المصنوعة من الخشب والحجارة، تخترقه نظرات غريبة من سكان ذوي ملامح شاحبة وأرواح منهكة، يراقبون الغرباء بفضولٍ مشوب بالخوف. كان لون بشرتهم أسمر داكنًا يكاد يميل إلى السواد.

تفوح في الهواء رائحة غريبة ممزوجة بالدخان، تشي بشيء أكثر من مجرد حطبٍ محترق... شيء دموي يثير القلق. فالأساطير في ناكامي ليست مجرد حكايات، بل حقيقة مظلمة تجري في عروق أهلها.

وصل الدكتور روبرت، عالم الأنثروبولوجيا المعروف، إلى قرية ناكامي مدفوعًا بفضولٍ علمي عميق ورغبة في فهم استمرارية الطقوس الغريبة في زمن الحداثة. استُقبل من قِبل شيوخ القرية، رجال ذوو ملامح متآكلة كأنها من زمن آخر، نظروا إليه بعيون سوداء قاتمة ووجوه مربعة الزوايا، لاحظ ذلك التشابه حتى ظنّ أن الجميع توائم.

رغم الترحيب الظاهري، شعر الدكتور روبرت بتوتر خفي، وكأن السكان يُخضعونه لاختبار غير معلن. منحوه ثلاثة أيام فقط للإقامة، مهلة قصيرة تعكس الريبة وعدم الثقة، مصحوبة بتحذير غامض يُخفي تهديدًا قاتمًا وخوفًا دفينًا من شيء أعمق، خطر لا يُقال... بل يُلمّح فقط:

"بعد ثلاثة أيام، سترحل... أو ستُصبح جزءًا منّا".

وجد الدكتور روبرت أكثر مما سعى إليه. خلال إقامته القصيرة تعرّف على شايلي، شابة من أبناء القرية، تحمل في عينيها عبء التقاليد المظلمة. لم يكن حبّه لها مجرد عاطفة، بل رحمة مشوبة بالذنب والانبهار، دفعته إلى تحدي تحذيرات الشيوخ والزواج منها.

بمرور الوقت، انجرف روبرت في طقوس القرية الوحشية، لا رغبةً فيها بل سعيًا لفهم زوجته وعالمها.

في ناكامي لم يُؤكَل البشر فيها بدافع جوع أهلها فحسب، بل كعقيدة يجب احترامها، حيث يُسلَّم الخونة إلى كبار القرية ويُطهَّر جسمهم في طقوس مريبة، ثم تُوزَّع أجزاؤه على كل عائلات القرية. أما الغرباء فيُصادون كما تُصاد الطرائد ويُطبَخون مباشرة في حساء مُرّ... ومع الوقت، بدأت إنسانية روبرت تتآكل تدريجيًا، وتحول رفضه للممارسات إلى تقبّل... ثم توقٍ غامض.

بعد عامين، رُزقا بطفلٍ أسمياه إيجي، لكن الطفل لم يُقبَل في مجتمع ناكامي. لونه وشكله المختلف ودمه الغريب جعله منبوذًا حتى بين الأطفال، إذ رأوا فيه تجسيدًا للدم المختلط الذي يربطهم بعالمٍ خارجي يخافونه ويكرهون اختراقه.

في سن الثامنة من عمر إيجي حانت ساعة الاختبار، ليس فقط لإثبات الانتماء، بل لمعرفة ما إذا كانت دماء ناكامي ستتغلب على الدماء الغريبة. فوُضع أمام إيجي طبق مملوء بلحمٍ بشري نيء،

قطعة دامية يجب أن يبتلعها ليثبت انتماءه، أو على الأقل قبوله لقواعدهم. لكن الغريزة الإنسانية قاومت، وربما كان جزء من روبرت لا يزال حيًا فيه... ففشل في الاختبار.

ليُزجّ به في سجنٍ مظلم، لا لمجرد العقاب بل كمن يُلقي بذرة في التربة السامة، على أمل أن تنبت منها وحشيةُ السلالة.

سنتان من الظلمة، لا شمس فيها ولا أصوات بشر، سوى صدى أنفاسه وصرير الحديد حين يُغلق الباب كلما قُدِّم له الطعام. لكن كان الجوع رفيقه، والبردُ جلاده، والعتمة صديقًا لا يصمت. لكن إيجي... لم ينكسر. كان يغلي بصمت كمرجلٍ مظلم لا تشتعل تحته نار، بل يغذّيه الغضب المتخثر في عروقه، ويبقيه الحقد في فوران لا يهدأ.

في الزاوية المظلمة، تحت ضوءٍ باهتٍ يتسلّل من كُوَّة صغيرة، جلس محتضنًا ركبتيه، شفاهه يابسة ولسانه ثقيل. تمتم بصوت مبحوح بالكاد يُسمع، كأنّه ينقش قسمًا على جدران روحه:

سأجعلهم يندمون... سأُثبت أنني لست فاشلًا مثلهم. سأتفوّق على كلّ واحدٍ فيهم...

لم يكن يكرههم فقط، كان يكره ما زرعوه فيه... تلك البذور السامة التي أسموها "القدر". أرادوه أن يُصبح ما يخشونه، ما يهمسون عنه في طقوسهم... فأقسم أن يُصبح أسوأ مما تخيّلوه.

وحينما بلغ العاشرة ساعدته والدته شايلي، التي ربما رأت في عينيه انعكاسًا لضعفها أو ظلّ ماضيها. فهرب إيجي تحت جناح الليل، يركض في طرقٍ لا يعرفها، يلهث كمن يهرب من شيء يسكن داخله أكثر مما يطارده من الخارج.

ترك خلفه رائحة الدماء القديمة، لكنه حمل معه شيئًا أثقل من الذكرى: ندوبًا في روحه، محفورة تشدّه كلما ظنّ أنه يبتعد.

كانت ليلة هروبه باردة، تمطر كأن السماء تغسل خطيئة لم يقترفها. دخل المدينة والشوارع لامعة تحت الضوء، لكن الضوء لم يكشف إلا ضبابًا آخر من مكان مجهول وجديد لا يفقه فيه شيئًا... وفي أحد الأزقة الضيّقة، وسط الخراب والصمت جلس بجانب مكب القمامة، وجدته امرأة في الأربعين تُدعى روبين ساغارا. كان يرتجف كجروٍ ضال، وعيناه لا تطلبان شيئًا... فقط ألا يُعاد إلى هناك.

كانت روبين تملك فندقًا صغيرًا شبه مهجور. نوافذه موصدة وأبوابه صدئة... شيء باهت تخلّت عنه المدينة منذ زمن. لكنها رغم كل هذا الموت حولها، كانت تحمل بذرة حياة على أمل أن تعود ابنتها إلى البلاد وتجد الفندق الذي كبرت فيه. وحين نظرت في عيني إيجي، لم تر طفلًا غريبًا... بل حزن سنوات.

رأت في عينيه حزنًا عميقًا وحاجة إلى الرعاية. أخذته، عاملته بلطف، ووفرت له مأوى وطعامًا، وعلّمته القراءة والكتابة،

محاولةً محو آثار الماضي. تبنّته ومنحته حياة طبيعية، لكنها لم تستطع محو الظلال التي كانت تخيّم على روحه.

تفوق إيجي في المدرسة بذكائه، لكن الماضي كان يطارده. أشعل ذلك رغبة جامحة في إثبات نفسه، وفي التفوق على أولئك الذين نبذوه. فبدأ يبحث في الخفاء عن طرق لإخفاء الجثث، وأنشأ موقعًا إلكترونيًا سريًا: "مقهى اللحوم."

بدافع فضول مظلم، ورغبة في فهم هذا الجانب المروّع من الوجود البشري، بدأ المجرمون يتوافدون على الموقع، يعترفون بجرائمهم الشنيعة، ويتبادلون الخبرات في فنّ إخفاء آثار القتل.

لسنوات، درس إيجي هذه الأساليب الملتوية وتشرب فنون التمويه.

في سن التاسعة عشرة، حانت اللحظة المنتظرة. ليس لأنه أرادها، بل لأنه خشي أن يتأخر أكثر ويستسلم لرغبة العيش مع روبين ودفء الحب والهدوء. لم يكن يرغب في أن ينسى أهدافه الحقيقية... الهدف الذي أقسم أن يصل إليه طالما لا يزال يتنفس.

الذنب الذي اقترفه لم يكن في رغبته الدموية، بل في الخوف من النبذ مجددًا. إيجي لم يكن وحشًا... لم يكن وحشًا بعد.

في مساءٍ خالٍ من الزوّار، كانت روبين تُحضّر العشاء في المطبخ، شعرها لا يزال مبللًا من المطر، تتناثر خصلاته على كتفيها وهي تغني أغنية قديمة لا يعرف كلماتها، أغنية تثير في قلبه رجفة

غريبة. فراقبها من عتبة الباب، السكين في يده والأفكار تتكاثر في رأسه كذبابٍ جائع. ثم صمت كل شيء حتى صوت الماء انقطع. وبقي هو ونَفَسه الثقيل والسكون الذي يسبق العاصفة.

اقترب منها بخطواتٍ لا يسمعها سوى قلبه. لم تلتفت، كانت تُقشّر البطاطا، تتمتم بالأغنية ذاتها. رفع السكين وترددت يده.

"إنها طيبة... لم تؤذِني قط... لكنها ستفعل".

وبطعنة واحدة في الخاصرة، شهقت روبين بصوتٍ لم يسمعه من قبل، صوت أمومي مفجوع، كأنها لا تصدّق أن من غرس السكين... هو الفتى الذي كانت تناديه كل صباح: "يا بنيّ."

أسرع وطعنة أخرى، حتى تغلق روبين عينيها ولا تنظر إلى وجهه الذي بدا كأنه نادم على ما فعله... ثم ثالثة، ثم استسلم جسدها للصمت الأبدي. جلس إلى جوارها بعد دقائق، ويده ترتجف وعيناه لا تبكيان. عقله لا يصدّق: "قتلتها... والآن لا مجال للعودة".

شعر بشيءٍ يُكسر في داخله، ليس حزنًا... لم يكن داخله بكاء، بل جفاف، كما لو أن روحه بكت حتى الفراغ. لم تكن متعة القتل هي ما حرّك يده، بل مزيجٌ مرعب من الغضب، الخوف، الوحدة... كمن يضرب شبحًا.

طهى اللحم كما كانت تطهو هي، على نار هادئة... غسل الأطباق بعدها، ونظّف ورتّب المطبخ كأن شيئًا لم يحدث. كان هادئًا على نحو مريب... هدوء من عبر الحدّ ولم يعد يرى الفرق بينه وبين

الجحيم. وبعد تسع سنوات من التواري عن الأنظار، عاد إيجي إلى ناكامي، وقد صار شابًا قويًا يحمل نظرة مظلمة وروحًا مثقلة بالكراهية. عاد بهدف تدمير القرية من الداخل.

تسلّل إلى البئر، شريان الحياة الوحيد لسكان ناكامي، وسكب فيه سُمًّا قاتلًا، ناشرًا الموت بصمت. وبعد أيام وقف إيجي عند حدود القرية، يحدّق في الجثث التي سقطت وفي البقية يعانون المرض.

"انتهى الأمر إذن؟" همس لنفسه، وكأن الهواء نفسه قد يلومه.

"لقد فعلتها. لقد جعلتهم يدفعون ثمن كل شيء".

أشعل النار في القرية، واستمع إلى صرخاتهم المدوّية، يردّد في داخله: سيعرفون الآن طعم الخوف الحقيقي، نفس الخوف الذي عشته أنا... كل يوم طوال سنتين من العذاب...

ثم رأى في داخله وجه شايلي الشاحب، نظرتها الحزينة عندما ودّعته وذلك الحضن الدافئ: هل كانت تستحق هذا أيضًا؟

تساءل للحظة، ثم تجاهل الوخز المؤلم. قال: كانت واحدةً منهم.

تذكّر الزنزانة، نظرات الازدراء والهمسات من سكان القرية.

- أرادوا أن يتحوّل الوحش بداخلي. حسنًا... لقد أريتهم الوحش.

لكن الوحش لم يجعله يشعر بالقوة، بل بالوحدة. روبين... ومض وجهها الودود في ذهنه، ابتسامتها الحنونة.

" لقد حاولت أن تمنحني حياة أخرى".

ضغط إيجي على أسنانه. "هذا ما أستحقوه".

لكن صوتًا خافتًا بداخله تساءل: "وهل هذا يجعلك مختلفًا عنهم؟"

دخل إيجي القرية وهي تشتعل. صوت النار كان أعلى من صرخات الألم. ثم دخل منزل كبير القرية، وأخذ كتاب "ملك ناكامي"، ونظر إليه وفكّر: لا يمكن أن يكون هذا كله بلا معنى. هل تقبل أيها الكتاب أن تستمر في العيش بجواري؟ أنت ستذكرني فحسب بما اقترفته يداي...

" سيتذكرونني." قال بصوت أعلى، وكأنه يحاول إقناع نفسه.

" سيتذكرون إيجي، الطفل الذي نبذوه، والذي عاد ليجلب لهم الموت. وأنا سوف أستمر في تذكّر صرخاتهم إلى الأبد".

استدار ببطء، وظلال الليل تلفّه. حان وقت الرحيل. لم يكن هناك شيء آخر يربطه بهذا المكان الملعون. لكنه شعر بشيء عالق في داخله. "لقد انتقمت." كررها في ذهنه "لقد انتقمت".

لكن الكلمات بدت جوفاء.

كان السكون يسود غرفة الجد إيجي والضوء خافتًا، يتسلل عبر النوافذ المغلقة، كأنما يتجنب فضح ما كان يحدث في الداخل. وصفحة المذكرة الأخيرة انزلقت من بين أصابعها كأنها تحترق. لم تقل شيئًا. لم تصرخ ولم تبكِ، لكن كل شيء فيها كان ينهار... ببطء، بصمتٍ ثقيل.

ريكا حدّقت في الفراغ، والمذكرة على حجرها، يداها جامدتان وكأنها لم تعد تعرف كيف تُحرّكهما. وجهها شاحب وعيناها مفتوحتان كأنهما لم ترمُشا منذ بدأت القراءة. ثم تمتمت أخيرًا، بصوتٍ خافت كأنه يخرج من قاع بئر: أكان هذا الجحيم... هو... جدي؟

رفعت عينيها إلى تاكومي، ملامحها بلا لون، بلا يقين: كان هذا هو من ربّاني؟ من كنت أهرب إليه حين أخاف... أكان هو الشخص الذي أهرب من ظلاله السوداء؟

اقترب منها تاكومي ببطء، كأنه يخشى أن يوقظ تلك الدموع الهشّة في داخلها. جثا على ركبتيه أمامها، ولم يمدّ يده، لم يلمسها. فقط نظر إلى عينيها وقال بهدوء: أحيانًا... أكثر الناس قسوة هم الذين كانوا أكثر الناس ألمًا.

وقف تاكومي وأخذ المذكرة التي سقطت على الأرض ووضعها في الصندوق، ولمح كتاب "ملك ناكامي" في الصندوق. مد يده وأخذه، وجلس على حافة السرير والكتاب بين يديه. أخذ نفسًا

عميقًا قبل أن يفتح الكتاب، وكانت أصابعه ترتجف. وعندما بدأ يتصفح الكتاب اجتاحته رائحة دماء جافة قبل أن يشعر بشيء غريب، شيء يتسلّل عبر قلبه وعقله، شيء كان مظلمًا جدًا لدرجة أنه جعل فكره يتعثر.

وفي اللحظة التي وقع فيها نظره على آخر سطر في الصفحة والتي كتب فيها بخط يد يلتوي بغرابة كأنه مكتوب بدماء قديمة: "كل من يلمس كتاب ملك ناكامي، يصبح جزءًا لا يتجزأ من أهل الكتاب".

ثم شعر بتلك الرغبة العميقة التي استحوذت عليه فجأة، تدفعه إلى الرغبة في تناول لحم بشري، تتسرب عبر خلايا جسده، وتغزو وعيه. "لا يمكن"...

همس لنفسه، لكن يديه بدأت ترتجفان بشكل غير طبيعي حتى سقط الكتاب من يديه. كل شعرة في جسده كانت تقف في مكانها. أغمض عينيه، وأمسك برأسه في محاولةٍ لصد هذه الرغبة، ولكن الألم كان لا يُطاق.

كان عقل تاكومي يصرخ ويقول له إن هذا ليس صوته، وأن هذا ليس ما كان عليه. لكنه كان يشعر وكأن شيئًا آخر قد استولى عليه.

ريكا، التي كانت تراقب من بعيد، فهمت الموقف على الفور. كانت تعرف هذا الألم جيدًا. كان هذا الصراع الداخلي الذي مرّت به عندما لمست الكتاب...

اقتربت منه بصمت، مدّت يدها برفق وأمسكت بذراع تاكومي، ثم قربت يدها إلى فمه. كانت تلك اللحظة مرعبة، أكثر من أي وقت مضى: خُذ... تذوّق.

قالت بصوت منخفض مخيف في هدوئه. نظر إلى عينيها وقد اتسعتا وكانتا تلمعان، كانت قريبة من وجهه حتى استطاع رؤية انعكاس صورته على عينيها... ثم أمسك بيدها، وكان التردّد في عينيه واضحًا، لكن كما لو أن شيئًا ما كان يدفعه، شيء لا يمكن مقاومته. شعرت بشفتيه الرطبتين تلتصقان على يدها، وكانت لمسة دافئة، لكنها كانت ملوّثة بشيء آخر. كانت الدماء...

بدأ يتذوّق قطعة صغيرة من لحمها، ولم يكن الأمر مجرد طعام، تدفق الدماء عبر فمه، كان الدم أكثر لذة من أي شيء آخر.

فجأة، شعر بشيء يخفّف من التوتر، وكأن هذه اللمسة كانت تبلسم الجروح الداخلية التي كانت تؤلمه. ارتخت يداه، وهدأ جسده قليلًا. لكن ما زال في قلبه صراع مرير. ثم قالت بصوت منخفض وعينيها تتأملان الغطاء الممزق للكتاب: الكتاب لا يرحم... لقد بدأ بالفعل في التأثير عليك يا تاكومي.

تأمل في عينيها، وابتسم ابتسامة كئيبة. لكن، في هذا الصمت الثقيل، كان يعرف أن التغيير قد بدأ. ثم تنهدت ريكا تنهيدة طويلة، خرجت من أعماق صدرها مثقلة بما لا يمكن للكلمات أن تحمله.

فخرج تاكومي من الغرفة دون أن يقول شيئًا، فقط أعطاها مساحة لتختلي بوجعها ولو لبضع دقائق، ثم عاد يحمل ضمادًا ومطهّرًا للجروح. جثا إلى جانبها بهدوء، وبدأ بتنظيف أثر العضّة على ذراعها.

كانت جالسة على الأرض، شاردة النظرة ولا تشعر بالألم. عيناها تُحدّقان في الفراغ، بينما يدها ترتجف تحت لمسة العناية التي لم تعتد عليها. عندما انتهى، رفع نظره إليها لكنه لم يتكلم، وريكا فقط أومأت له بخفّة، كأن شكرها لا يحتاج إلى صوت.

-9-

اضمحلال ساغارا

لم أكن أعلم أنني ولدت في عائلة تأكل من تحب. في هذا الفندق نتعلم أن الألم قابل للهضم، وأن اللحم إذا نضج بالدموع والخوف... صار أطيب.

كنت في الخامسة حين قدمت لي أمي شيئًا دافئًا، وجلست بجوار أبي، بينما كان يشحذ سكينه الطويلة بحركات بطيئة. كانت ابتسامته بين الشفقة والخوف... وبينهما كنت أنا.

قبل سنوات، في شارع قريب من فندق باندورا، كان كل شيء يوحي بالرهبة والقلق. زقاق ضيق ومظلم نسبيًا. انطلقت فتاة صغيرة تبدو رقيقة الملامح وناعمة البنية تركض، لكن جسدها النحيل كان يرتدي ثيابًا بالية. كانت تحتضن قطعة خبز بقوة، وكأنها كنزها الثمين الذي سيقيها وحشة الأيام المقبلة.

بينما تركض بكل قوتها، كان يلاحقها رجل يحمل عصا خشبية غليظة. استوقفتها ريكا ممسكة بيديها، حتى سقطت قطعة الخبز فوق بركة مياه الأمطار. حاولت الفتاة الهروب بيأس، والدموع تتغلغل في عينيها، لكن قبضة ريكا كانت قوية، ومن دون أن تسأل لمحت الرجل يقترب غاضبًا، فتركت الفتاة الصغيرة تهرب. غضب الرجل قائلاً: "تلك السارقة. لماذا سمحت لها بالهرب؟"

ابتسمت ريكا وعيناها لم توحِ بالمودة: "سوف أعطيك المال".

مشت نحو الرجل، إلى الزقاق المظلم الذي انعدم فيه الضوء، وفتحت حقيبتها مبتسمة، ثم أخرجت سكينًا من حقيبتها ونظرت إليه. استغرب الرجل وضرب العصا الخشبية على الحائط بقوة وصرخ: "هل تمزحين معي؟"

بعد ساعات معدودة، دخلت ريكا الفندق، صاحبة العيون الدموية وشفتيها مطليتان بأحمر شفاه داكن ويبدو عليهما آثار دماء. شعرها أسود طويل ومفرود مع غرة تغطي جبهتها.

فتحت الباب المهترئ للفندق الذي كان يحمل لافتته الباهتة "فندق عائلة ساغارا". كان الكيس في يدها ثقيلًا، ورائحته التي لا يمكن تجاهلها تنبعث منه.

تبادلت ريكا مع إينوي نظراتٍ مليئة بالانزعاج المتبادل، قبل أن تتجه نحو المطبخ بخطوات ثابتة. تقدمت نحو المطبخ حيث كانت أكيمي تعد طعام العشاء، وضعت الكيس على الطاولة بهدوء، ثم غادرت دون أن تنطق بكلمة واحدة، كما لو أن هذا الفعل نفسه كان روتينيًا بالنسبة لها.

منذ فترة طويلة، ومع تدافع المشاعر المتناقضة التي اجتاحت قلبها كأمواج البحر العاتية، كانت ريكا تتوق إلى دفءٍ فقدته. كانت تبحث عن الحنان الصادق، ذلك النوع من الحب غير المشروط الذي يلامس الروح كما تفعل لمسة أم غائبة أو نظرة أب افتقدته منذ زمن.

بمرور الأيام، بدأ اهتمام ريكا يتجه نحو ذلك الشاب الذي كان يظهر دائمًا منعزلًا في أروقة الجامعة. كان لون عينيه جذابًا بطريقة غامضة، يثير في ذاكرتها صدى ذكرى موجعة، لكنها رغم ذلك وجدت نفسها تتعلق به.

كان صوت خفيف في أعماقها يوسوس بأنه شخص ساذج وسهل التلاعب به والتخلص منه لاحقًا دون مشاكل، بينما كان شعور آخر غريب يدفعها بقوة نحو التقرب منه والتحدث إليه والاحتفاظ به للأبد، وكأن هناك رابطًا يشدها إليه.

في أحد الأيام، سمعت كوهاكو يتحدث عن تاكومي قائلاً لرفاقه:

"تاكومي ساتو شخص كئيب للغاية، حتى أنني أحيانًا أظن أنه بلا هدف في الحياة. صداقتي معه لم تكن سوى وسيلة لاستغلال أمواله. بصراحة، هو ممل وغير ممتع إطلاقًا. كان خداعه وجعله صديقي أمرًا يسيرًا لبؤسه ووحدته".

مع انطلاق ضحكاتهم جميعًا على حال تاكومي ساتو، انتاب ريكا شعور مفاجئ بالانزعاج، تقدمت نحو كوهاكو، وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة عفوية، ثم طلبت منه أن يواعدها.

***

ذهبت ريكا إلى غرفتها وأغلقت الباب. كانت ترتجف خوفًا وحزنًا، وهي تستمع إلى صوت جدها. رفعت عينيها المثقلتين بالدموع نحو سقف الغرفة، وكأنها تخاطب روح جدها، وقالت: "هناك فوضى عارمة في العائلة، في هذا الفندق يا جدي... فوضى في كل مكان... يجب أن يتم تنظيفها... لكن كيف؟ سوف يتحول

جميع أفراد العائلة إلى وحوش... وحوشًا لن أعرفها... هل هذا ما أردته؟"

خيم صمت ثقيل على الغرفة، لم يكسره سوى شهقات ريكا المكتومة التي كانت تتعالى وتنخفض في أرجاء المكان. وقف تاكومي خلف الباب، يسمع بجمود ينم عن حزنه وعجزه.

بعد لحظات، طرق تاكومي الباب بخفة ثم فتحه ودخل غرفة ريكا. وما إن خطا أول خطوة داخلها، حتى تملّكه شعور غريب، كأنه عبر إلى عالم آخر. فغمره سحر المكان على الفور، لم تكن مجرد غرفة، بل كانت انعكاسًا ناعمًا لروح ساكنتها. عالمٌ يفيض رقة وجمالًا بعيد كل البعد عن صرامة غرفته أو برودة الغرف الفندقية الأخرى.

ورق الحائط اللامع، تزينه ملصقات صغيرة لقطط سوداء، والأثاث الأنيق المتناغم مع الألوان الهادئة. كانت الغرفة مضاءة بلطف ومنظمة بعناية، تنبض بدفء. همس تاكومي بتعجب صادق: "لم أتوقع هذا... ظننت أنني سأجد كهفًا مظلمًا، لكنني اكتشفت جنة صغيرة".

ابتسمت ريكا بخفّة، ابتسامة بالكاد تُرى، وكأنها تنهيدة تجسّدت على شفتيها. كانت جالسة القرفصاء على السجادة الزهرية الناعمة، وبلطفٍ أشارت له أن يجلس على السرير، ثم انطلقت الكلمات بثقل لا يُحتمل: "أصبحت وحيدة"..

تاكومي، الذي كان يراقبها بصمت، كان يفهم تمامًا، بل كان يشاركها ذات التعب، ذات الوحدة القاسية. ثم بعفوية اعترف بكرهه العميق لليل، هذا الوقت الذي يتحول فيه الهدوء الظاهري إلى ساحة تعيث فيها الكوابيس المفزعة فسادًا في روحه المضطربة، لتتركه يستيقظ كل مرة وهو غارق في الخوف. ثم انطلق منه سؤال يحمل في طياته أعمق مشاعره: "لماذا لا نهرب بعيدًا؟"

خيم الصمت على الغرفة، وارتسمت على وجه ريكا علامات الدهشة الواضحة. لكن تاكومي لم يمهلها للتفكير، وأكمل حديثه: "لدي شركة في ضواحي المدينة لتقطيع الخشب، ولدي منزل أسرتي هناك... يمكننا أن نذهب ونعيش معًا، بعيدًا عن كل هذه الفوضى".

ابتسمت ريكا بتعب، وقالت بصوت خافت: "هذه الفوضى... يجب أن أرتبها أولًا".

ثم انحدرت دمعة وحيدة صامتة على خد ريكا الشاحب، أرقت قلب تاكومي وجعلته يشعر بعجز مؤقت. لم يعرف ماذا يفعل سوى أن مد يده برفق ومسح تلك الدمعة بطرف كُم قميصه، وهمس لها بصوت دافئ يقطر حنانًا: "لا بأس... أنا هنا معك".

دقّت ساعة منتصف الليل. في الظلام والصمت الثقيل بدأ يتلاشى ببطء، كأن المكان يلفظ أنفاسه الأخيرة قبل الانهيار.

قالت ريكا بصوتٍ مرتجف: "أشعر بهم جيدًا... لقد بدأوا بالتحرك".

فتحا الباب ببطء، وخرجا من الغرفة بخطى حذرة. كانت خطواتهما بطيئة ومثقلة، تنحدر من السلم الداخلي للفندق. تاكومي كان يتقدّمها، يده تقبض على المسدس بقبضة غير مستقرة، كان يتمسك بوهم أنه يمكن أن يقاتل من أجل ريكا، لكن عيناه كمن يعرف أن السلاح لا يكفي، لكنه لا يملك غيره. وراءه، مشت ريكا بخطى متزنة ظاهريًا، لكن الفأس في يدها المرتجفة.

الجدران من حولهم كانت صامتة كالقبر، لكنها بدت وكأنها تراقبهم.

ثم ظهر كوجي أولًا من بين الظلام الذي يلف نهاية الممر. كان يحمل سكينًا يومض نصله البارد تحت ضوء مصباح معلّق يتأرجح بعصبية. اندفع نحو تاكومي، وكأن كل ذرة في كيانه مصممة على تمزيق هذا الجسد الواقف أمامه. لم يكن هناك وقت للتفكير، لا تردد، فقط اندفاع وحشي نحو الهدف. لكنه لم يصل.

ارتفعت الفأس في يد ريكا بحركة سريعة، هوت بها بكل ما تبقى من بقايا عقلها. ثم صدى صوت ارتطام الفأس بجمجمة كوجي كان وحشيًا. تناثر الدم دافئًا ولّوث الهواء وارتد على وجه ريكا. لم

ترمش عيناها، بقيتا ثابتتين. في لحظات تهاوى جسد كوجي كدمية قُطعت خيوطها، وسقط على الأرض بثقل أصم.

ثم ظهرت ماري، الطفلة الصغيرة، ذات البشرة الشاحبة التي كانت دائمًا توحي بالهشاشة، مشت بين جثث كوجي. لم تلتفت إليه حتى واقتربت من تاكومي بخطوات بطيئة مترددة. عندما همّت ريكا بإطلاق تحذير يائس، كانت الصغيرة قد انقضّت على يد تاكومي، عضّتها بقسوة وحشية، بأسنان صغيرة لكنها بدت أقوى وأكثر حدة من أسنان طفل.

صرخ تاكومي من الألم وأمسك يده، لكن ليقاوم ماري سقط المسدس منه بعيدًا، وتملّكه الارتباك. للحظة قصيرة، تشتت انتباه ريكا حينما التفتت نحو تاكومي بفزع. في تلك اللحظة المشؤومة، نهض كوجي. لم يكن ميتًا تمامًا. أنينه الخافت اخترق عقل ريكا كصفارة إنذار مجنونة. قفز عليها بضراوة يائسة، لكنها بضربة أخرى بالفأس سقط ميتًا.

ظهرت أكيمي وريوتا من الظلام، وجوههما مشوهة، ممسوخة. أصوات أنفاسهما كانت خشنة. أمسكا بها بقوة، وجراها بعيدًا. حاولت أن تصرخ، لكن الغضب اليائس كان يسبق صوتها، يخنق أي محاولة للاستغاثة.

بعد أن أبعد تاكومي ماري بصعوبة لارتفاع قوة قبضتها الصغيرة على نحو غير عادي، اتجه نحو المسدس وأطلق على

ماري، سقطت أرضًا بكل هدوء، ثم راح يركض بحثًا عن ريكا، دخل غرفة الطعام وشاهد ذلك المنظر.

ريكا وحدها واقفة، وملابسها ملطخة بالدماء من رأسها حتى أخمص قدميها. عيناها كانتا ساكنتين، خاليتين من أي تعبير، وجثة أكيمي من دون رأس، وريوتا ملقى على الأرض شبه ميت وهو يمسك رأس أمه بكلتا يديه.

رفعت ريكا نظرها، جفناها بالكاد يُفتحان، لكنّها رأته... تاكومي. كان واقفًا وسط الظلام، يمدّ يده نحوها، كأن لمسة منه تكفي لإنقاذها من كل شيء. لكن فجأة، خرجت يدان بلون الدم من العتمة، وأمسكتا بعنقه بقوة. تاكومي اختنق فورًا وجسده انتفض، وعيناه اتسعتا رعبًا.

صرخت ريكا وارتعدت، محاولة أن تندفع نحوه، لكن صوتًا مغموسًا في الجنون شقّ الظلمة خلف تاكومي: "سوف أقتله الآن... إذا ما تحركتِ خطوة واحدة"!

كان صوت إينوي كالسُم. لكن تاكومي، وسط اختناقه، رمى المسدس على الأرض، سقط قرب قدم ريكا بصوت معدني خافت. دون تفكير، وبحركة غريزية سريعة، انخفضت ريكا والتقطت السلاح، ونهضت وهي تصوّب... طلقة واحدة اخترقت جبهة إينوي، فسقط كدمية بلا صوت.

ركع تاكومي أرضًا، ويده تمسك بعنقه محاولًا استعادة نفسه. في اللحظة التي تلاشت فيها الأصوات وسكن كل شيء حوله فجأة... شعر بشيء غريب يحدث. الهواء نفسه تغيّر، صار كثيفًا، كأن الغرفة امتلأت بدخانٍ لا يُرى. تجمّد الزمن.

نعم... توقفت حركة ريكا تمامًا. كانت لا تزال واقفة هناك، على بُعد خطوات فحسب، لكن شعرها الذي كان يجب أن يتحرك مع التيار... سكن. رمشها تجمّد في منتصف الطريق، حتى ظلّها توقف عن الاهتزاز.

ومن فوق رأسها... خرج الدخان وتمدد من العدم، حتى تشكّلت أمامه. شيئًا فشيئًا ظهرت الأنياب... ثم الرؤوس. ثلاثة رؤوس ضخمة، لكلٍّ منها فكّ مشقوق ونظرة من عالمٍ لا يشبه الأرض. كانت العيون... حمراء. ليست حمراء فقط، بل تتوهج كما الجمر، كأن النار خُلقت داخلها.

وقف الكلب الحارس، ذو الأجساد المتداخلة، أمامه مباشرة. ثم صدر الصوت من الفم الأوسط، صوته لم يكن صوت حيوان: "ريكا ساغارا.. ذو العيون الحمراء... هي من تحكم كتاب ملك ناكامي، وهي سوف تستمر بتنفيذ دورها فرد من عائلة ساغارا. وأنت... تاكومي ساتو... لن أسمح لك بتعطيل هذا".

ارتجّ قلب تاكومي وهو ينظر إلى تعابير ريكا المنصدمة، أراد أن يرد.. أن يسأل، لكن فمه لم يُفتح. كل شيء في جسده انكمش،

حتى أفكاره. وما إن أنهى الكلب كلماته، حتى شعر بانفجارٍ صامت داخل جمجمته... ثم لم يرَ شيئًا. تلاشى كل شيء.

سقط جسده بلا صوت، وغرق في العتمة، فاقد الوعي، كمن انطفأ تمامًا. تقدّمت ريكا نحوه ببطء، يداها ترتجفان بعنف، وفأسها ما زال يقطر دمًا. جثت بجانبه، وجسده لا يزال دافئًا لكن وجهه شاحب شحوب الثلج. صدره يرتفع وينخفض بأنفاس ضحلة ومتقطعة، كأن الحياة تتعلق فيه بخيط واحد.

ركعت على الأرض بجانبه، لامست وجنته بأطراف أصابعها المرتعشة، برقة غريبة، كما لو أنها تحاول أن تعيد إليه الحياة بلمسة. همست له: "أردت فقط أن أنقذك مني... أردت أن تستمر في العيش"..

انحدرت دمعة واحدة من عينها، دمعة حارقة، ثم حملته بكل ما تبقى فيها من قوة عبر درج الفندق الذي طالما تردد فيه صدى الضحكات الزائفة، تحول اليوم إلى ممر للموتى. خرجت من الفندق واستمرت المشي إلى الشارع الرئيسي، كان برد الليل القارس ينهش جسدها، لكنها رفعت يدها وأوقفت سيارة أجرة بصمت، ووضعَت تاكومي في المقعد الأمامي وهو فاقد الوعي: "إلى المستشفى.. أرجوك بسرعة".

لم تشرح شيئًا للسائق، فقط انطلق بسرعة بعد أن شاهد الدماء على ذراع تاكومي من آثار العضة، ثم لم تنتظر ريكا خلفها، عادت إلى الفندق فحسب. دخلت مرة أخيرة، فتحت صنبور المياه الحارة ووقفت تحتها كمن يريد أن يمحو جلده.

غسلت شعرها الطويل، أظافرها الملطخة، وحتى عينيها... لكنها شعرت بأنها لن تستطيع أبدًا أن تغسل ما رأته. ارتدت ملابسها بهدوء، كان الليل ساكنًا. ريكا ساغارا مشت على بلاط بهو الفندق كما لو أنها تمشي فوق صدعٍ بين الحياة والموت.

كل خطوة تُخلف صريرًا، كل جدار يتنفس من خلفها، كأن الأحجار تحفظ وجهها منذ الطفولة، وتحاول الآن نطق اسمها. في يدها اليمنى عبوة بنزين تقطر، وفي اليسرى ولاعة معدنية لا تشتعل إلا إذا أرادت هي أن تشتعل. وفي قلبها... حفرة.

كانت تعرف هذا الصوت، رغم أنه لم يُنطق، ذاك الشعور الذي يزحف خلف عظام الذاكرة، حيث لا تزال طفلة تنام على سرير من ريش الحمام، وتستيقظ على رائحة اللحم البشري في المطبخ. وعندما مرت قرب اللوحة الكبيرة للعائلة، نظرت إليها طويلاً. عينا الجد إيجي كانتا تحدقان فيها حتى بعد موته.

ابتسمت بسخرية، وقالت بصوتٍ لم تكن متأكدة أنه صوتها: "كلهم احترقوا... لكنكَ ما زلت هنا لأنك كنتَ الأذكى، الأعمق جذرًا في هذا المكان".

ارتجّ الهواء من حولها كأن الفندق فهم المعنى.

المرايا على الجدران لم تعد تعكس صورتها، بل صورة شخص آخر، يشبهها إلى حد مخيف، لكنه يبتسم بثقة قاتلة. ثم سمعت صوتًا يهمس من بين الجدران.

لم يكن صوتًا بشريًا، بل حزنًا ضاغطًا ورغبة في البقاء، في التسلل إلى جلدها: "إن رحلتِ، من سيبقى لي؟ من سيُطعم الجدران الجائعة؟ من سيسمعني في الليل حينما أتكلم؟ لقد صُنعَت من قلبي ومن ألمي ومن حب لم يعرف غير الذبح".

أجفلت قليلاً، لكنها لم تتراجع: "أنا لست تابعة لكم. لم أكن يومًا سوى محط استغلال... حتى جدي لم يجد شخصًا تفرغ فيه كآبتك غيري، لأن جدتي قد أصابها الخرف وفضلت أن تجوب الشوارع كالمجنونة، وأنت بقيت لوحدك"...

صمتت قليلاً ثم قالت: "والآن حان وقت المغادرة. الوداع.. يا فندقي العزيز.. لطالما أحببت ظلمتك"..

بدأت تسكب البنزين على الأرائك، ثم على الستائر، ثم فوق الأرض، وكأن النار وحدها تستطيع أن تعيد ما تبقى من إنسانيتها. ثم مرت أمام باب غرفتها وتوقفت. سمعت ضحكتها القديمة من الداخل، تلك التي لم تعد لها.

تلك التي كانت تطلقها وهي تقطع وتمزق وتخنق نفسها حد البكاء، ثم يتحول البكاء إلى ضحك، وهي تفهم معنى الذبح، قبل أن تتعلم أن اللحم يمكن أن يكون حبًّا يُقدَّم على طبق من حديد.

فتحت الباب. الغرفة كما تركتها. السرير مرتب، والستارة تتحرك رغم أن النوافذ مغلقة. ثم جلست للحظة، لم تعرف إن كانت تبكي أم تتنفس فقط. ثم قال الصوت مرة أخيرة كأنها صدى قلب يحتضر: "إن أحرقتني، ستصيرين وحيدة. أما معي... فدائمًا كان لكِ مكان".

فكّرت. ربما كان على حق. الفندق كان الوحيد الذي لم يخذلها يومًا، لم يكذب، لم يخفِ جوعه. لكنها نهضت وتمتمت بصوت منخفض: "أن أكون وحيدة... أفضل".

خرجت إلى البهو، أشعلت الولاعة، ورمتها دون أن تنظر خلفها. لم يكن هناك صراخ.

لم تكن هناك نيران تلتهم الجدران فجأة. كان احتراقًا بطيئًا، محترمًا، كأنه جنازة. كل نافذة احترقت بنظام، كل صورة ذابت بكرامة، حتى المرايا لم تكسر، بل انسحبت صورتها منها كأنها تُودّعها.

خرجت من الباب الأمامي، ووراءها بدأ التاريخ يُمحى. لم تلتفت للمرة الأولى منذ سنين، لم تنادِها الجدران باسمها. كانت الحرائق

صامتة، وهي... أخيرًا حرّة. مشت ريكا بعيدًا. كان الثلج يتساقط بهدوء، والنيران تلتهم المكان الذي احتجز قلبها لفترة طويلة.

في المستشفى استفاق تاكومي مذعورًا. كان تنفّسه متقطعًا، صوته خرج مخنوقًا، أجشًا: "ريكا...؟"

لكنها لم تكن هناك. لم يجد سوى ورقة صغيرة مطوية بجوار سريره، خطوطها مائلة، كأنها كُتبت ويدها ترتجف:

"لا تبحث عني... أنا لا أريد رؤيتك مرة أخرى".

-10-

- نهاية البداية -

حينما كنت في الثامنة من عمري، جلستُ في القبو خلف جدي، وهو يقطع رجلًا إلى أجزاء صغيرة فوق الطاولة، يفصل اللحم عن العظام ببرود مخيف. جالسًا على كرسي خشبي، بملامح متجعدة وشعر رمادي فاتح. أضاء المصباح الخافت فوق رأسه القبو المتصدع.

وبين هدير المطر الغزير الذي ابتلع كل الأصوات، اخترقت صرخات الرجل أذني مثل السهام، لكنها ضاعت في العتمة. التفت جدي نحوي يتفقدني بنظرة تأكيد، كأنما يقدّم درسًا لطلابه، وكل قطرة دم كانت تروي حكاية من الوحشية.

وعلى الجهة الأخرى، كان أبي واقفًا، وقد بدأ يشعر بالغثيان من رائحة الدم، يحمل بعناية واستنفار عظام الضحية بأطراف أصابعه، ويرميها في حوض استحمام مصنوع من الذهب. كان الحوض مليئًا بسائل سمعتهما يتحدثان عنه ذات مرة... شيء يُدعى "أحماض الكبريتيك"، يذيب العظام على الفور.

وحين انتهى، تقيأ أبي في زاوية القبو من شدّة الرائحة الكريهة المنبعثة من الحوض... وكأن روائح الجحيم نفسها قد استيقظت.

نظر إليّ جدي بعينين تلمعان بحماس غريب، وتمتم بصوت متهدج: "أنت... المنتظر، هل رأيت يا تاتسو يا عديم النفع، أن عيني ريكا هما ما احتاجه".

كان في صوته رهبة لم أعتدها. لم يكن والدي، ولا أي فرد آخر من العائلة، جديرًا بتحمل شؤون العائلة. ومن تلك اللحظة، شعرت أن ظلال الفندق بدأت تهمس باسمي...

***

خرج تاكومي من المشفى يحمل جرحه كمن يحمل خريطة ممزقة، ثم شاهد ذلك المنظر: الفندق قد أصبح ذكرى رمادية، كان في الماضي ظلًا ساكنًا وقذرًا، لكن الآن أصبح ظلًا ساكنًا ومميتًا، قطعة رماد متفحم تمامًا.

جال الشوارع الباردة وفتّش في الفنادق الأخرى، وسأل الغرباء عن فتاةٍ بعيونٍ حمراء تلمع ببريق غريب. وبعد شهرين من البحث، قاده حدسه الملحّ إلى منزل ريفي صغير، بابه مصنوع من خشب متآكل وحديقته تبدو شبه ميتة، تنتظر الربيع.

رأى طفلًا يركض في الحديقة الصغيرة أمام البيت، يجول دائرة حول ظل أخته ريكا، التي كانت تجلس على العشب تراقب الأفق بهدوء غريب.

كان النهار رماديًّا، والسكون يخيم على المكان. رفعت رأسها فجأة، كأن روحها شعرت بوجوده قبل أن تراه عيناها، ورأته واقفًا خلف سور الحديقة القصير، صامتًا لا يقول شيئًا، لا يتحرك فقط... عيناه، تلك العينان المختلفتان، حملتا كل ما دفنته ريكا تحت رماد "فندق ساغارا."

تسمرت في مكانها. العالم من حولها فقد صوته فجأة. رأت الدم الخفي على يديه، وسمعت صراخ الضحايا يعود كصدًى مرعب في جمجمتها. قامت ببطء وكانت خطواتها غير مستقرة كأن الأرض تتحرك تحت قدميها. اقتربت بضع خطوات مترددة... ثم توقف جسدها فجأة، وكأن قوة خفية تشدها إلى الوراء.

- " تا... كو... مي؟"

نطقت اسمه بصوت هامس، وكأنها تلفظ اسمًا عاد من الماضي ليطارد حاضرها. في عينيها لم يكن تاكومي شخصًا من لحم ودم، بل شبحًا مصنوعًا من الذنب والندم. كان تاكومي أشبه بضباب أسود واقف أمامها، من حب لم يكتمل بعد.

سقط الفنجان الذي كانت تمسكه من يدها المرتعشة، وتحطم على العشب الرطب كقلبها تمامًا. بدأت ترتجف يداها أولًا... ثم كامل جسدها. سقطت على الأرض وصرخت بصوت مكتوم، كمن ينهار من الداخل لا من الخارج: "لماذا أتيت...؟ كان

يجب أن تموت معي هناك! كان علينا أن نحترق معًا... لماذا عدت؟"

ركض هارو، شقيق ريكا، نحوها، مرتبكًا من هذا الانهيار المفاجئ، واحتضنها بسذاجة دون أن يفهم شيئًا، لكن ريكا لم تره. كانت تغوص في الظلال. بكت لأول مرة منذ أعوام طويلة. لم تبكِ كقاتلة، ولا كضحية، بل كفتاة صغيرة أُجبرت على حمل جحيمٍ أكبر بكثير من عمرها.

تم نقل ريكا إلى المشفى، محمولة كجسدٍ فارغ بلا إرادة. كان قسم الطب النفسي في الطابق الأخير من المبنى، معزولًا عن بقية الأجنحة، كأنهم أرادوا إخفاء الألم العقلي عن أعين الناس. الضوء الاصطناعي لا يطفأ أبدًا، يسطع بقسوة فوق رؤوس المرضى كعين لا ترمش.

جلست ريكا في سريرها، يداها مكبلتان بحزام خفيف، فقط للاحتياط كما قال الطبيب. عيناها مفتوحتان تحدقان في سقف أبيض لا يحتوي شيئًا. كانت تهمس أحيانًا: "أنا حرة... لكن لماذا ما زلت أسمع صراخهم؟.. احترقوا... كلهم... كانوا يضحكون"...

في تقرير الطبيب النفسي، كُتبت السطور ببرود مهني:

- "المريضة تُعاني من اضطراب ما بعد الصدمة الحاد، يصاحبه تدهور إدراكي حاد في إدراك الزمان والمكان. تكرر اسم (تاكومي) وتصف نيرانًا تراها عند إغلاق عينيها. وتعاني من فقدان

جزئي لحدود الواقع، ونوبات تشنج عاطفي مفاجئة، وتظهر مقاومة واضحة للعلاج الأولي". -

في قاعة الزجاج العازل للصوت، جلس تاكومي مع الطبيب النفسي، وجهه شاحب، وعيناه غائرتان من قلة النوم والذنب. قال الطبيب بصوته المنخفض وهو يفتح الملف أمامه: "إنها حالة معقدة. ريكا لا تحتاج فقط إلى أدوية. استقرارها النفسي لن يحدث وهي قريبة من أي محفز عاطفي، خاصة... أنت".

تقلص وجه تاكومي، كأن الكلام كان طعنة لم يكن مستعدًا لتلقّيها.

- " أنا السبب... لا يمكنني تركها وحدها بعد الآن. كان يجب أن"...

ثم تمتم لنفسه: "كان يجب أن نهرب معًا إلى أبعد نقطة، كيف أغفلت حقيقة أنها لن تستطيع تحمل ذلك العبء"...

- " أنت الآن تلهب داخلها حرائق أخرى. كلما رأتك، تعود إلى تلك الليلة، إلى الفندق... لهذا السبب، من الأفضل أن تبتعد عنها لفترة".

لاحقًا، وقف تاكومي خلف الزجاج، يراقب ريكا وهي مستلقية في السرير الأبيض، عيناها مفتوحتان على فراغ. طرق بأطراف أصابعه الزجاج دون أن تصدر صوت: "أنا هنا يا ريكا... لكني سأبتعد، فقط لتتعافي... سأعود حين تناديني"...

في تلك الأثناء، استلقى هارو على سرير المشفى بعد أن شاهد انهيار أخته ريكا، كان يمتلك عينًا حمراء وكأنها لم تنم أبدًا، والأخرى اختفت خلف رقعة طبية توحي بأن شيئًا فظيعًا هناك، وشعر أسود، لقد كان بحق نسخة مصغرة من ريكا.

كان هواء الغرفة ثقيلاً مما جعل قلبه ينبض بشكل غير منتظم. دخل المشفى بسبب إصابته بورم الأرومة الشبكية في عينيه، تم علاجه مبكرًا لكنه بقي تحت المراقبة مدى الحياة بسبب خطر عودة الورم أو ظهور سرطانات أخرى.

وحين التفت، وجد رسالة موضوعة على طاولته. لم تكن هناك قبل دقيقة، في ظرف أسود لا يحمل اسمًا ولا طابع بريد. اقترب، ولم يتردد وفتح الظرف. لم تكن الرسالة مكتوبة بخط عادي. كانت الحروف وكأنها محفورة... لا بالحبر، بل بشيء حيّ.

قرأ:

- "إلى هارو ساغارا... الملك القادم. لقد فتح الفندق عينه... ألديك الشجاعة لفتح عينيك التي أغلقت منذ زمن بعيد أنت أيضًا؟ الباب سينفتح مرة واحدة فقط".

***

بعد أيام، جلس تاكومي وحيدًا على حافة الهاوية فوق سطح المشفى ينظر إلى المدينة التي بدت بعيدة جدًا ومظلمة، كانت

أضواؤها تتحرك على نحو مريب. وكان يتذكر شيئًا من حديثها معه فوق سطح الفندق:

- "أتدري، تاكومي؟" -

همست وهي تنظر إليه بعيون حزينة تطلب النجدة: "حين يعيش المرء طويلًا في ظلمة باردة، يصبح النور أقرب إلى معجزة... وحين رأيتك، شعرت أنني لم أعد قادرة على العودة إلى العتمة. أنت لست مجرد ضوء... وأنا؟ أنا فقط أسير خلفك".

توقفت كلماته في حلقه، اكتفى بالنظر في الفراغ، ثم قال بصوت منخفض: "ربما... النور لا يعني شيئًا إن لم يكن هناك من يراه".

كان الليل كثيفًا، لم تكن النجوم لامعة ولا وجود للقمر، ولا أحد بجانبه، لا صوت ولا ريكا. لم يعد يتذكر صوتها بوضوح، وهذا ما أخافه.

ظهر صوت خطوات تتراقص فجأة. رفع تاكومي رأسه ببطء، ورآه مهرج بأنفه الأحمر اللامع، وقطرة دم صغيرة نُسيت على خدّه الزجاجي. شعره بنفسجي يتغير حسب حالته المزاجية، يقفز في كل اتجاه كأفكار تاكومي. قبعة سوداء مائلة، وملابس بيضاء براقة لا تناسب سواد الليل. قد شاهد تاكومي هذا المنظر من قبل.

وقف أمامه مباشرة، وابتسم... كانت ابتسامته مزعجة بطريقة ما، كأنه يعرف شيئًا لا يعرفه تاكومي. قال تاكومي بصوتٍ خافت كأنه يخاطب ذكرى بعيدة: "لماذا... لماذا كلما رأتني ريكا، تعود ذاكرتها إلى تلك الليلة؟ هل أبدو لها كجثة؟ أم كصندوق يُفتح ليُعيد الألم؟"

لم يرد المهرج في البداية، بل اكتفى بالتحديق فيه طويلاً، ثم اقترب منه بخطوة واحدة:

- " أنت لست الجثة يا تاكومي... أنت الشاهد الذي نجا، وهذا أسوأ. الذكريات لا تحب الصمت والسكون، إنها كالأشباح تتبعك إلى الهاوية وحتى إلى النعيم"...

أغلق تاكومي عينيه، كأن صوته صدّع شيئًا داخله: "ظننتُ أن الحب يُشفي... وأن يدي حين تمسك بيدها ستكون قارب نجاة".

ضحك المهرج بخفوت ينم عن سخرية، ثم همس: "الذين يحبون المجانين... لا يملكون قوارب، يبحرون في عاصفةٍ بلا بوصلة، ويظنون أن قلوبهم هي الاتجاه".

- " هل هي مجنونة؟ أم أننا نحن المجانين... لأننا نظن أننا نستطيع فهم عقلٍ يصرخ بلغة لا نعرفها؟"

هزّ المهرج رأسه بإعجاب غامض وقال: "الجنون ليس مرضًا يا تاكومي... إنهم يشبهوننا أكثر مما نحتمل".

توقف تاكومي فجأة، وأدار رأسه نحوه: "وهل ريكا حرة في ما تفعله؟"

- " ربما ريكا أكثر حرية منك... لأنها تعرف ما يسكنها. أما أنت، فأنت تهرب كل يوم من نفسك. تتجاهل حقيقة أنك تسعى للفناء لا أكثر".

اتسعت عينا تاكومي، كأن الكلمات صفعت صدره: "أهرب؟ أم أحاول أن أُصدّق أنها ما تزال هناك؟ أن ريكا التي نظرت إليّ ذات ليلة بعيون حزينة، تطلب النجاة... ألم يبتلعها ذلك الكلب الأسود؟"

وقف المهرج أمام تاكومي مباشرة، رفع تاكومي عينيه والتقت بعيون المهرج فقال: "سوف أقدم لك عرضًا بهلوانيًا... ربما يخفف هذا عنك".

تراجع المهرج خطوة راقصة إلى الوراء، ثم انحنى أمام تاكومي بانحناء مبالغ فيه حتى لامس طرف قبعته الأرض. ثم قام وفتح يديه، وقفزت من كم قميصه أوراق اللعب على الأرض. ابتسم المهرج وقال: "هل تؤمن بالسحر؟ أم باللعنات؟"

تاكومي لم يجب. بدا له السؤال سخيفًا جدًا، في هذا المكان، وفي هذه اللحظة بالذات. كان حزينًا ومحطمًا، لا مكان فيه لفكرة سخيفة مثل السحر. لكنه لم يضحك أيضًا، بل ظل يحدّق في وجه المهرج، كما لو أنه خائف من تصديق شيء لم يُفكر به يومًا.

ثم بدأت الأوراق في التحرك من على الأرض وطارَت في الهواء، مشكلة عاصفة حول المهرج، ففتح ذراعيه واستقرت بشكل منظم على كفيه. أثار هذا فضول تاكومي فاتسعت عيناه بحثًا عن ثغرة لهذه الخدعة. ثم همس لنفسه ساخرًا: "هاه... سحر؟"

- " إذا كانت ريكا ساغارا هي الكبة، والسيد إيجي هو البستوني، وهارو ساغارا هو الديناري، وأنت السباتي... وبقيت الأوراق هي الشخصيات الجانبية لا أكثر... إذن من هو الجوكر؟"

- " ماذا تقصد بكلامك؟ الجوكر هو شخص لا يتبع القواعد أبدًا. قد يكون من خارج هذا العالم؟ من هو؟"

ضحك المهرج بسخرية: "هِهِه، أنت ذكي فعلًا.. لولا حبك لريكا الذي قد أعماك لاكتشفته منذ زمن"...

اقترب المهرج قليلًا، وانحنى: "هناك ساحرة لطالما أرادت الحديث معك... لكنك لم تسمعها، لأنك لا تؤمن. لو صدّقت... فقط للحظة... سوف تمنحك فرصة وتستطيع إنقاذ ريكا من الجوكر".

شعر تاكومي أن قلبه توقف عن الحركة لثانية.

السحر؟ اللعنات؟ .. كيف؟ ثم تذكر حينما كان يسمع أساطير عن السحر من أمه حينما كان صغيرًا.. كان يسمع بأسطورة سيدة السحر "آريس"، وعن أنها توزع الأمنيات على الأشباح.. تذكر ذلك في لحظة..

فكانت تلك اللحظة التي لم يعد فيها تاكومي إنسانًا عاديًا، بل كيانًا ممزقًا وعالقًا في حلقة زمنية لانهائية.

الفهرس

جحيم العزلة..07

فندق عائلة ساغارا...22

طقوس تشويه القمر..35

حينما يتكلم اللحم...54

ذئب في المغسلة..62

مشاعر آكلي لحوم البشر..70

حين حلمنا بالفرار...86

ملك ناكامي...100

اضمحلال ساغارا...113

نهاية البداية..128